صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق - ص.ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

العدد الاول

حزيران

١٩٦٢

السنة الخامسة

وبعد..!

في هذا اليوم تدخل « مجلة الثقافة » عامها الخامس ، بعد أربع سنوات كان فيها الكفاح المرير والعمل المضني المتواصل ..

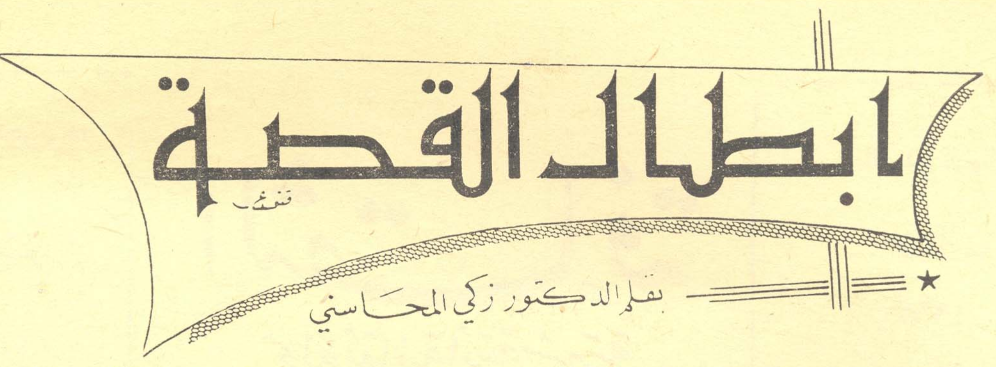
أجل بعد أربع سنوات لاقت فيها ما لاقت من جحود الجاحدين وتأييد المنصفين ، ومن انكار المنكرين وعطف الاوفياء ، فلهم منا جميعا الشكر والعرفان بالجميل لان ذلك كله ما زادنا - شهد الله - الا قوة في العزيمة ، وايمانا بجلال الرسالة التي حملتها مجلة الثقافة وحدها خلال هذه الفترة في هذا البلد الحبيب ..

وتعتادنا ذكريات هذه السنوات الاربع فنرى في كل عدد من أعداد هذه المجلة الكثير من الجهد والتعب والكثير من البصر والنفس ، ولكن سرعان ما يضمحل ذلك كله في كلمة طيبة من صديق رأى في « الثقافة » رسالته ، وفي لفتة من أديب وجد فيها متنفسا ومجالا للتعبير عن رأيه .

وبعد ! فما كنا يوما لنحيد عن الطريق التي رسمناها لانفسنا ، فقد كانت هذه المجلة وما تزال وستبقى منبرا حرا لكل فكر نير ومجالا واضحا للكشف عن المواهب الجديدة المتفتحة . وآلينا على أنفسنا أن تبقى هذه المجلة الدرع الواقي للغة أمام كل حملات التشويه والدعاوى الباطلة في تجديد هو أبعد الاشياء عن التجديد .

هذا وسنحاول قدر استطاعتنا أن تسير المجلة في عامها القادم بخطوات أوسع وشكل أفضل ومضمون أسمى معتمدين في ذلك على النخبة الطيبة من أدبائنا أصحاب الاقلام الحرة أولئك الذين عاشوا حياتهم لخدمة الفكر وتقديس الحرف ، وأولئك الذين نعترف لهم بالفضل في دوام حياة هذه المجلة واستمرارها في أداء رسالتها .

« مدحة عكاش »



« صديقي الاستاذ سيف الدين عاشور »

« مهداة الى أديب الحجاز »

ـ آنتينيا ، ويحك ، اني لا أكاد أتبينك خلال رمال الصحراء ، فهل هذا الذي بيدك الابيض ، منديل تكفكفين به عبراتك على المبدع ؟!..

كذلك رحت أتمثل غانية الاطلانتيد نائحة على من أعطاها الحياة في القصة الخالدة ، على « بيير بينوا » فلقد أطبق منذ شهرين عينيه اطباقة الابد . وكنت أقرأ روايته الصحراوية التي أطلق في آفاقها دنياوات على نحو دنيانا ، فيها جمال وامرأة سابية وقصر ممرد ، وحب طاغ قاصف تشع به عينان تزلزلان القلوب ، ورواد حملوا شرخ الصبا ذبيحة عند وحيد آنتينيا المفتان اللعوب التي كان يحميها ألوف من الملثمين السود ، طوارق الحدثان وحماة الملك الذي توارى خلف الوجود ، ولفلفته الاحلام .

كان أهل الموهبة في كتابة القصة يخترعون بطلا ، أو يبتكرون حادثة ، ليزينوا الواقع الجاف وليزخرفوا التلاوين التي ألفوها وعرفوها . لكن بييربينوا اخترع عالما برمته ، وقصة من أولها الى آخرها جاءت من نسج الخيالات وابتكار التمثيل ، كانت حلما نهاريا طويلا . كان جميلا وكان مفزعا فغرت الحوادث أفواهها فيه دهشة وتعلقت أنفاس قراء لا يحصى لهم عدد بسطور أسطورية سكب عليها بينوا مداد قلمه الساحر . ولقد جاءت القصة برمتها كأنها الواقع ، أو هي أفضل منه وأزهى . تلك هي ضربة المعلم في القصة .

فيا غانية أطلانتيد ابكي ما استطعت على من أعطاك الحياة ، وهو بالامس غادر الحياة .

في سبح من هذه التأملات رجعت الى « رومان دور جيليس » حين جاء بلدي دمشق وحل في قصر آل العظم في جانب سوق البزورية ، كنت طالبا في التجهيز حين ذهبت لارى معرضا للصور في ذلك القصر ، وهنالك عرفت عن كثب دور جيليس الذي جال حينا من الايام في حي الشاغور وأزقة القيميرية واختلبت لبه نساء مقنعات بالبراقع عليهن الملاءات السود كن يكشفن المناديل عن عيونهن الدعج ، ليرين ركب هذا القاص العجيب مارا في سوق مدحة باشا تحت الاروقة المحدوبة العالية يتلفت ذات اليمين وذات اليسار ليرى باعة البز جالسين على ركبهم في دكاكينهم الطافية .

من تلك الاسواق الدمشقية الداكنة استنبط دور جيليس أبطاله في قصة (قافلة بغير جمال) . قال كنت أرى أبطال هذه القصة يتراقصون أمام ناظري في دروب دمشق ..

وقد رحت أقول بعد أن عرفت لفيفا من القصص الخالدة : لقد فقد العدم في وجود عبقرية القاص ، وعطفت بالفكر من الغرب الى الشرق فأتيت أبا زيد السروجي وجئت الحارب بن همام فأخذت أعجب لعبقرية الحريري أبي العباس والهمذاني حين حين اخترعا أبطالهما في المقامات ، وزعمت أن الحريري كان نقادة وكان يبطن نقمة على المجتمع العباسي الذي عاش فيه فركب مقاماته في سبيل النقد الخلقي والسياسي من خلال المهازل التي كان يعرضها ، وكلها من بنات فكره الخالق . لقد تفشت في زمنه الرشوة في حلقات الحكم فعرض على قرائه مجالس القضاة وما كان يدور فيها من الباطل . ورأى أدعياء التقوى فمثل أعمالهم في معارض تصويره المقامي ، وأكاد أجد كل مقامة مشهدا تمثيليا يقام له مسرح ويخط له اخراج وتسدل من أجله ثم ترفع الستائر . والتفت صوب الاندلس لارى ابن طفيل كيف ابتكر قصة « حي بن يقظان » فأوجده في جزيرة

يرتضع من غزالة تعطف عليه حتى ينمو ثم اذا هو شاب يتفرس في الوجـود ويستنبط علل الكائنـات ، فيعطينا مفكر الاندلس قصة علمية مولدها الادب يحمل صاحبها أفكاره ويبيحه أسراره . وكذلك كان شأن أهل القصة المعلمون يعطونك القصة المخترعة والبطل المبتكر وكأنهما الحقيقة جاثمة والحادثة حية ترزق . ومن ههنا استطاع وضاع القصص النفـوذ الى أغراضهم في حيـاة الفكر والادب والفن فلامر يعرفه تولستوي وحده كان يريد أن يظهر المرأة في نطاق من الكفران بالزوجية المقدسة فأبرز انا كارينين في شخص امرأة طياشة الحلوم ، أعماها الهوى عن زوجها وابنها الوحيد . وقد تكون غاية القاص معروفة في خلق أبطاله كما عرفت غاية أناتول فرانس حين أوجد شخص بافنوس العابد الضليل في رواية تاييس .

وأجد القصاص الاعلام الموهوبين على ضربين واحد عاش منعزلا عن أبطاله يديرهم على السطور ليرى قراءة حوادثهم ، كما كان يفعل بلزاك ، وآخر يضع نفسه خلال أبطاله كما كان يفعل ايميل زولا وغوركي . وقد أدى أدباء القصة وفلاسفة الرواية ما كانوا يبطنون من المقاصد في الفكر الحر والثورة والانتقام بواسطة أبطالهم الذيـن أوجدوهـم في قصصهم فاتخـذوا منهم دريئات ودروعا ، وكان أسلوبهم القصصي أفعـل في الالباب والمشاعر ، من أساليب الكتـاب والشعراء ، لان القصة تتسلل الى النفوس بغير استئذان وتلعب لعبتها الجميلة أو الخطرة خلال القلوب ، دون زجر أو ارهاق ، ومن غير ترغيب أو موعظة . ومتى كان القاص عبقريا استطاع أن يجر قراءه الى الرواية فاذا هم يدخلون صفحاتها ويحتلون سطورها فيثورون مع البطل الثائر ، ويبكون مع النائحة الثكلى التي يقرؤون قصتها ، ومن هنا وجب أن يكون القاص شريفا فان السم في الدسم له مجال متسع في عالم القصة .

وكم ساءلت نفسي عند حياة القصة العربية المعاصرة ما مقدار الخلق والابتكار في أبطالها : فوجدت توفيـق الحكيم الذي أخذ الحوار عن ولي الدين يكن وحسب طه حسين أنه ابتكره في قصة العرب الحديثة فكرمه من أجله وأثنى بالكثير عليه ، وجدته ضئيل الخلق لابطاله لكنه على هذه الضآلة من أقـدر المفكرين على ايـداع فكره أبطاله لكنه لم يكن ثائرا لفكر وانما هو يدس لك الفكرة دسا خلال بطله وقد يكون أعنف منه طه حسين في كلامـه على « المعذبين في الارض » ، لكـن محمود تيمور عاش وهو أبعد الناس عن بث روحه خلال قصصه جميعا . فما قصة له تستطيع أن تقول هذه هو . أو أن هذا البطل من أبطاله يشبهه في فعله وقوله وحياته . ان قصص محمود تيمور ـ وقد قلت له هذا ـ قصص من مواليد القلم لا من مزاج الروح والفكر لدى القاص . ولهذا فاننا لا نجد أثرا كبيرا للقصة في الحياة الفكرية العربية المعاصرة ، ويبتعد بنا القاصون المعاصرون منا عن حقائق كنا نؤثر تلمسها في حوادثهم المروية ، الا قصصا معدودات كن مرايا نفوس كتابهن كقصة (سارة) التي كتبها الصديق الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد في المرأة والحب أصدق تصوير ومن الجور على حياة القصة حرمانها من العقـاد الذي عاش حياة قلمـه في دراسة العبقريات الاسلامية والعربية وشغلته هذه الكتب الجديدة عن حياة الفن المرح في القصة كما شغلته عن الشعر ولو هو كان قاصا أو متفرغا للقصة لاعطانا في نفسه دوستويفسكي عربيا مبينا .

قلت منذ شهور ـ وأنا في القاهرة ـ للقاص الموفق نجيب محفوظ : انك ابداعي لحفاظك على مياسم الصدق التي لا تزول عن طوابعك ، خذني الى « زقاق المدق » لأرى المطابقة بين قصتك وهذا الحي الشعبي الذي يعج بحوادث الحب والكيد والمتربة .

وقد شربت الشاي في قهوة الغيشاوي بجوار الجامع الازهر مع أدباء وقاصين تبينت مقدار براعتهم في نقل الصور مـن هـذا المقهى الشعبي القـديم الى صفحاتهم القصصية . فاذا مررت في دمشق بقهوة « خبيني » عند منحدر الدرج من باب المسجد الاموي نحـو القيمرية ، وتذكرت لياليها الرمضانية حيث يقتعد فيها الحكواتي ونظارته على أرنبة أنفه وبين يديه كتاب قديم يقرأ منه صفحات من قصة « تغريبة بني هلال » أو مغامرات « دليلة المحتالة » أو مواقف من بطولات عنترة بن شداد تمنيت أن أجد القاص الذي يدلف الى هذا المقهى ليسكنه على صفحاته الحية الاخاذة في مزدحم التكوين والابداع ، لكل بطل عجيب من أبطال القصة .

ماوريليا وأقرباؤها

قصة الكاتبة الايطالية :
آدا نيغري
تعريب : عيسى الناعوري

كنت في حداثتي ألتقي أحيانا بماوريليا ، وهي ابنة احدى عماتي ، ولكن ذلك كان نادرا ، وفي أيام الاحد فقط ، لان أوريليا اضطرت في سن مبكرة الى الاشتغال بالتطريز ، وكنت أنا أدرس وأتدرب لاصبح معلمة .

كان لقاؤنا في منزل ابنتي عم لنا في مثل سنناتدعيان: أميليا وكاستيليا ، وكان لقاء صاخبا ثرثرنا فيه وقهقهنا كثيرا ، وخططنا مشاريع كبيرة للمستقبل . وكانت ماوريليا أقلنا كلاما كأنما كانت ترى طريقها مرسوما بين جدارين أبيضين لا نوافذ لهما . كانت تبدو غير مهتمة بشيء ، ونفسها مغلقة بمفتاح . ولم يكن وجهها جميلا ولكنه صاف ، كثير الشبه بوجه أخيها جوليانو الذي يكبرها بنحو اثني عشر عاما ، والذي يقضي أغلب أوقاته في السفر بسبب أعماله . وهي طويلة القامة ، دقيقة العود كالسنبلة ، وكانوا يدعونها « الشقراء » لبريق شعرها الاسطوري الذي يشبه تاجا ساطعا شديد النقاء ، كذهب يتوهج في فضة ، وتتدلى ضفيرتاها على جنبيها كذيول الخيل .

لقد كنت في الواقع - لا شعوريا ودون أن أناقش نفسي في ذلك - لا أعرف أقرباء والدي العديدين . وقد توفي والدي وعمري سنة واحدة . صحيح انني كنت أحس بميل اليهم ، الا أنني لم أكن أعرف اكثر من أنني بنت أمي فقط ، لحمها وروحها وحدها ، فقد كنت أراها وحدها تذيب عمرها لتقدم لي الغذاء والبهجة . وما كنت لاغتاظ أو أدهش في طفولتي البريئة لو قيل لي انني ولدت دون أب ، حتى لقد كنت أتساءل أحيانا : لماذا لا يكتب اسمي في سجلات البلدية والمدرسة منسوبا الى أمي ؟



وحينما أزف الوقت غادرت المدينة معها ، بعد أن ودعت بنات أعمامي ، وأعمامي ، دون أن أشعر بالاسف على فراقهم . وبقيت بعيدة عنهم زمنا طويلا جدا ، ولم أعد اليهم الا في زيارة خاطفة لم أسأل فيها عن أحد .

ومن كل أقرباء والدي لم يحدث أن التقيت الا بواحد منهم ، هو جوليانو ، الاخ الاكبر لماوريليا ، فقد لقيته بعض المرات هنا في ميلانو ، حيث استقر به المقام هو أيضا بعد أن شبع من الاسفار في الجبال والبحار .

وفي الساعات الثمينة النادرة التي كنت أقضيها معه ومع زوجته ، كنت أتذوق لذة السلوان التي لا يمكن

أن تتـاح الا في صحبة النفـوس التي تتآلف وتشطح بعيدا بينما يظل الجسد ثابتا في مكانه • ولـم نكن قط نتحدث عن الاسرة ، بـل عن دنيوات نائيـة وأناس بعيدين • وبعد فترة قصيرة مرض جوليانو ومات • وفي منزله التقيت بماوريليا من جديد في أيام الحداد •

كانت قد جاءت من مسقط رأسها مع آخرين ممن يشاركونها في الدم وفي اسم الاسرة الذين لـم أعـد أعرفهم ، وغيرهم من الاحداث والفتيان الذين لم أعرف أحدا منهم من قبل • أما هي فقد عرفتها حالا وان يكن قد تغير مظهرها بعض الشيء • ولست أدري أي انطباع غامض اعاد الى ذهني صورة صغيرة لوالدي ، تالفة ، باهتة اللون ، محبوسة في اطار مستدير ، هي الصورة الوحيدة الباقية لدي منه •

غير أن ماوريليا لـم تكن في مظهرها تشـبه تلك الصورة على الاطلاق • كانت تقف أمامي مديدة القامة ، مستقيمة ، نحيلة بطبيعتها ، ترتدي ملابس سوداء ، وكان ثوبها الخشن يتدلى الى قدميها ، وخروجها هذا على زي العصر يخلع عليها شيئا من التجهم الرزين • كانت تتكلم ببطء وبساطـة بلهجتها العامية • وعلى الرغم من أنهـا تجاوزت الخمسين مـن عمرها ، الا أنـه لا يمكن أن يحزر أحـد عمرها الصحيح ، فهي من أولئك الذين نحتتهم الحياة الروحيـة نحتا عجيبا على نموذج يظـل سليما الى آخر العمر • هـذا ما اقتنعت بـه وأنا أنظر اليها • لم يعد شعرها الاسطوري ذهبيا ، ولكنه لم يكن كذلك فضيا ، لقد أحال الزمن لـون وجهها الى دكنة العسل العميق مع بقائها على نضارتها ونعومتها ، وضفيرتاها ملفوفتان على عنقها بطولهما المألوف ، ولم تستطع التجاعيد الدقيقة المحيطة بعينيها الشاحبتين وفمها الحكيم أن تخلعا ظل الشيخوخة على وجهها •

لم تدع وقتا للكلام ولا للدموع ، بـل انصرفت حالا الى العمل ، لتساعد زوجة أخيها المفجوعة في الاعمال البيتية العادية • كانت تمشي بخفة في الغرف ، وحيثما وضعت يدها كان يزدهر النظام والضياء والبريق • ان أمثال هذه المخلوقة ، ممن يعملون صامتين رغم ما يعانون من ألم وعذاب ، لهم بركة من الله في البيوت التي يمر فيها الموت •

وفي لحظة قصيرة رأيتها تقترب مني ، ودون أن يشعر بنا أحد أخرجت من جيبها محفظة ، وتناولت منها صـورة رجـل في منتصف العمر ، بشوش الوجـه ، عريضـه ، مربع الـكتفين • وبينما راحت تريني اياها خلسة ، قالت بلهجتها العامية ، وبصوت خافت احتراما للميت الراقد في الغرفة المجاورة •

— زوجي !

ثم أعادت الصـورة الى المحفظة بعنـاية كبيرة ، وأضافت تقول :

— لكنه لم يعد لي !

لقد كانت صورة زوجها • وكنت قد سمعت من قبل أنه انطفأ بغتة منذ أربع سنوات بداء الفالج ، دون أن يستطيع حتى وداعها ، وترك لها خمسة أبناء ، وآلة تقطير تعيش عليها •

كانت المقاطع القليلة التي نطقت بها أشبه بضربات المطارق على مسامير تغرس في نفس • وفي لمحة خاطفة استطعت أن استخلص منها صورة حياتها : انهـا ربـة أسرة ، امرأة لرجل واحد ، نذرت عفتها وكل أحاسيسها له وحده ، فما تستطيع العزاء عنه برغم ما في الامومة والتدين من تعزية • ولقد أخجلني أنني لا أستطيع أن أفعل مثلها ، فأريها صورة شمسية صغيرة وأقول لها :

— زوجي ، ولكنه لم يعد لي !

في يـوم الجنازة ، وقبـل أن يغلق التابوت على جوليانو المسكين ، دخلت وجلة متهيبة الى غرفة الميت ، فوجدت ماوريليا وحدها واقفة الى جانب السرير ، ومن الغرف الاخرى كانت تترامى أصوات مختلفة يمتزج فيها الشهيق بألفاظ المؤاساة ، وعبارات الرثاء والتذكارات وفيها كذلك ألفاظ باردة ناشزة ، لا أثر للحزن فيها •

وكانت الارملة قد أخذت الى مكتب في داخل الشقة ، ولم تكن تتمالك الوقوف على قدميها ، وكان وقع الخطوات المتلاحقة ذهابا وايابا ، واختلاط الاصوات مما يزيد الالم في نفس ماوريليا ، غير أن غرفة الميت كان يسودها الصمت • وبقي ذلك الميت وذلك الصمت لا يتزحزحان ما بين الشرفة المطلة على الطريق ، والباب المفضي الى الممر • وكان وجه جوليانو رائع الجمال ، لم يعكر صفاءه الموت ، وكان بياضه مشربا بلون البنفسج ، وكأنه لا يزال يتنفس ، وفي وضع عجيب يثير الدهشة •

ووقفت عند الباب لا أجرؤ على التقدم ، ورحت أنظر دون قصد الى ما في وجه جوليانو ووجه ماوريليا من شبه في وضعهما الجانبي : التصميم الحازم ، والانف العريض المنخرين والدقيق الذؤابة ، والاذن الضيقة قليلا ، وعظام الخد البارزة كلها واحدة في كليهما ، الا أن أحد الوجهين مغتبط والآخر كئيب ، يتألم بصبر وصمت دون نحيب •

وانحنت المرأة لحظة فأعادت ترتيب بعض الازهار على صدر أخيها ـ وكانت الازهار كلها من القرنفل الاحمر ، الشديد الحمرة فوق المنديل الابيض ـ وخيل الي أنها أسرت اليه بكلام ، لعلها قالت له :

ـ أنت الآن أصبحت هناك في الجهة الاخرى ، فسلم على زوجي !

وعادت الى ذهني صورتها وهي طفلة ، بجبينها الناصع ، والاكليل الذهبي حول رأسها كأنها احدى العذارى الشهيدات • كان الزمن في يدي مثل كرة من الخيطان المحبوكة • كم من السنين مر على ذلك ! وذاك الميت العجوز الراقد هناك بأية عزيمة وقوة اكتسب شبابه ثم اضاعه ! لقد كان يعرف والدي ••

عند هذا الخاطر عادت الصورة التالفة في اطارها المستدير ماثلة أمام عيني ، ورأيتها تنتصب بين ماوريليا وجوليانو • وفي غمرة من زوغان البصر ساورتني رغبة شديدة ، لم أشعر بمثلها قط من قبل ، في أن أسمع صوت أبي وغناءه • لقد كنت أعلم منذ الطفولة أنه كان ذا صوت « مسرحي » ، وأنه حينما كان يغني لاصدقائه وأقربائه كان الجميع يحبسون أنفاسهم اعجابا ودهشة • واخوانه ، وأخواته ؟ لقد كانوا عشيرة كبيرة • وما الذي يجعلني أن أفكر في هذا ؟ كلهم كانوا فقراء ، وكلهم مجانين في حب الموسيقى والاشياء الجميلة • العمة أورسولا التي كانت تطرز بالذهب ملابس الصلاة وشراشف الهيكل ، وتعلمت العزف على البيانو من تلقاء ذاتها ، والعم سانتي الذي كان يعزف على الناي ! وجوليانو نفسه ، هذا الذي لم يعد يملك الحس ، لقد كان من قبل يجيد التمثيل ، ويؤلف « قطعة » للاوركسترا ! طيوف ، طيوف ، والحان !

ومن قبل ـ أبعد من ذلك في الزمن ـ كان جدود الاسرة : الجد باسانو والجدة تريزا ، يحيط بهما الابناء والبهائم في معمل (باسا) البدائي ، بين حقول الارز والكتان •

وتعود أمي أيضا الى ذاكرتي حين أتذكر أصول الاسرة ، تلك التي وهبتني من نفسها كل شيء • لقد تلاشت هي أيضا في من تلاشوا ، ولكن الحياة استمرت بعدهم في مسيرها • ان الموت والحياة يؤلفان عندي شيئا واحدا ، ويجتمعان معا في الاخوين اللذين أمامي ، والمتساويين في روعة الشبه بينهما • وأحسست كأنما استحال قلبي ويداي الى تراب ، الى كتل من تراب الارض التي تعب عليها الجد باسانو والجدة تريزا ، والتي كانا قد تحدرا من ترابها من قبل •

وأقبلت ماوريليا نحوي ، وكانت عيناها محمرتين من الدمع الذي كانت تزجره عن المسيل • ولما حاذتني تناولت يدي وابتسمت ابتسامة شاحبة قصيرة ، من تلك الابتسامات التي يمكن تبادلها في حضرة الموت • لم تكن تعرف شيئا من أفكاري ، غير أن ضغطتها على يدي وابتسامتها كانتا تحملان الي معنى عميقا لم يدر بخلدها ، ولكنه أعاد السلام والطمأنينة الى نفسي •

الطريقة السماعية

فنون

بقلم **عبد المعين ملوحي**

لو بذلنا الجهد في سبيل تعليم اللغة العربية مثل ما نبذله في سبيل تشويهها لبلغنا في معرفتها درجة الاتقان ٠

عبد المعين

دخل الغرفة على استحياء يقول لي : أرجو أن تقبل مني هذين الكتابين هدية ، وقدم الي كتابين ٠ وأخذت الاول استطلع عنوانه فاذا أنا لا أستطيع قراءته ، قلت : لعله بالفارسية ، وأمعنت النظر فرأيت عنوان الاول هكذا « ديوانو ابني الفاريضي » بثلاث نقاط تحت الياء بعد الدال ٠ قلت لعله مترجم ٠ وقرأت عنوان الكتاب الثاني فظننت أنه يتحدث عن أصل «الاسماعيلية» ثم أسعفني الحظ فقرأت العنوان بالعربية فاذا هو « العربية السماعية » ٠

وقلت لمن حمل الي الكتابين : من المؤلف ؟ قال : أحد أقاربي ٠ قلت : بشرفك ٠ هل فهمت ما كتب : قال : لا والله ما فهمت ٠ ولكنه كلفني توزيع بعض نسخ هذا الكتاب ٠

ومضى الشاب يخجل من نفسه ومن هديته ٠

صاحب هذه الطريقة هو السيد عبد المجيد التاجي الفاروقي ، وهو كما ذكر في تعريف نفسه : بكالوريوس علوم برتبة شرف ، وأستاذ علوم من جامعة أوكسفورد ومحاضر في اللغة العربية في جامعة درهام ٠ والظاهر من شهاداته أنه رجل علوم فيزيائية أو كيماوية ، ولكنه كلف تدريس اللغة العربية لمجرد أنه عربي الاصل ٠ وذلك أمر لا ينبغي أن يفوت ملاحظتنا ، فليس مجرد كون الرجل يتكلم اللغة العربية أو يكتبها كافيا لان يدرسها في الجامعات الاجنبية ، بل الذي أراه أن من الواجب ألا يعلم اللغة العربية في الجامعات الاجنبية الا الراسخون في اللغة ، المطلعون على خفاياها ودقائقها ٠

وقد رأى أستاذ العلوم بعد تعيينه في جامعة درهام محاضرا للغة العربية أن من واجبه أن يبتكر طريقة جديدة في كتابة اللغة العربية فابتكر هذه الطريقة ٠

لست أدري عدد المحاولات التي بذلت لتيسير الكتابة فضلا عن تيسير النحو ، ولست مبدئيا ضد هذه المحاولات شريطة أن تضمن أمرين اثنين لا غنى عنهما :

أولهما ألا تخالف الطريقة الجديدة الاصول الكبرى للغة العربية ٠

وثانيهما أن يكون فيها حقا تيسير على طلاب العربية لا تعسير ٠

ولكننا ، وياللاسف ، في كل ما بذل من محاولات حتى اليوم لم نجد شرطا واحدا مضمونا من هذين الشرطين فكيف السبيل الى أن نجدهما كليهما ٠

لا أريد أن أتهم هذه المحاولة وأمثالها اتهامات سياسية ، رغم أن هذه الطريقة من واردات لندن ، فهذه الاتهامات قد تكون صادقة وقد لا تكون ، ولكنها في كلتا الحالين لا تحل المشكلة حلا علميا ، وأفضل ما نصنعه في كل هذه المحاولات أن نبحث فيهابحثاموضوعيا، فلنا من حصانة اللغة العربية وامتناعها على كل من يريد انتقاصها ما يكفي لرد كل من يغير عليها ، ولكن الذي أريده هو أنأبين ضلال هذه الطريقة الجديدة من ناحية مخالفتها لاصول اللغة العربية أولا ، ومن ناحية تعسيرها للكتابة العربية ثانيا ٠

وأول ما يجب أن نبدأ به موضوعنا هو تلخيص

ديوانو

ابنى الفاريضى

نوشئتوه بي يدى

عبدى المجيدى شوكْري التاجي الفاروقي

مضبوطةه بي موجيبي طريقتي هى الجديدى
في تمثيلى حركاتى الحوروونى في أُصلابى
الكليماتى ، وموسْتغْنيباه بي ذاليلى عنى
الشكْلى القديمى

لوندون ١٩٦١

القواعد العامة التي اتبعها المؤلف في وضع هذه الطريقة ، كما أوردها :

القاعدة الاولى : الفتحة : الاصل في حركة الحروف الفتح ، ولذلك فلا ضرورة لادخالها : فذهب مثلا تكتب ذهب •

القاعدة الثانية : الكسرة ، ويشار الى حركتها بياء ذات نقطتين في وسط الكلمة ، وبياء دون نقط اذا جاءت في آخر الكلمة •

مثل لمدرسته تكتب لي مدرستي هي القاعدة الثالثة : الضمة ويشار اليها بواو مثل :

الرجل الشجاع تكتب الر جولو الشو جاعو •

القاعدة الرابعة : الالف في أول الكلمة مهملة ، وفي وسطها وآخرها تتحول الى حرف صحيح مثال : بسم الله الرحمن الرحيم تكتب بي اسمى اللهي الرحماني الرحيمي •

القاعدة الخامسة : الياء الاصلية وتكتب بثلاث نقاط •

القاعدة السادسة : الواو الاصلية وتكتب واوا كواو الضم •

مثال : وجود : وو جو و د و

القاعدة السابعة : همزة القطع وتكتب أ للفتح و أو للضم و ا لكسرة في أول الكلمة •

القاعدة الثامنة : السكون : وضع علامة السكون واجب الا حين يستدل عليه من النطق •

القاعدة التاسعة : الشدة : وتكتب دائما •

القاعدة العاشرة : التنوين : وتكتب نونا مقلوبة •

القاعدة الحادية عشرة : المدة : تحذف ويستعاض عنها باضافة ألف ثانية •

القاعدة الثانية عشرة : الالف المقصورة : تحذف وتكتب ألفا طويلة •

القاعدة الثالثة عشرة : أل التعريف : تلفظ قبل الحرف القمري وتسقط قبل الحرف الشمسي •

القاعدة الرابعة عشرة : حروف الجر والعطف : تكتب أحيانا متصلة وأحيانا منفصلة مثال : كورقة : ك ور قتي ن

ذهبت للمسجد : ذهبتو لي المسجيدى

القاعدة : الخامسة عشرة : ••••• لم يذكرها المؤلف ولعلها غير موجودة وانتقل منها الى ••

القاعدة السادسة عشرة : وتتناول تصحيح الارقام بعد الكتابة ، ويقترح ترك الخمسة ٥ لانها تصاب بالطمس وكتابتها ، ويصبح الصفر ٥

تلك هي القواعد الكبرى للطريقة الجديدة في التهجئة والكتابة ، وقد طبقها صاحبها فنشر ديوان ابن

الفارض الشاعر الصوفي الكبير حسب هذه الطريقة .

فهل هذه الطريقة متفقة مع أصول اللغة العربية وهو شرطنا الاول في كل طريقة للتيسير ؟

الجواب في كل اطمئنان : لا

والاستاذ يعترف في كتابه بأنه غير ملم بأبحاث الاوساط اللغوية ومجادلاتها ولا تتبع لها ، وان كان غير غافل عن هذه المناظرات . والحق أن عدم الغفلة عن الابحاث اللغوية لا يجوز أن يكون مبررا لاختراع طريقة جديدة في الكتابة ، وأبسط الشروط الضرورية في من يتصدى لوضع طريقة جديدة للكتابة والنحو التبحر والمعرفة الكاملة باللغة ومباحثها ، ولا يكفي في هذا الموضوع أن يكون المرء غير غافل عنها ، ولقدارتكب في كتابه أغلاطا نحوية واملائية لا يقع فيها المبتدئون في اللغة العربية مثل كتابته أن يخلو ، وهي بفتح الواو أن يخلوا بضمها ، كأن الفتحة لا تظهر على الواو ، (ص ٣ ديوان ابن الفارض) ومثل منعه عليا من الصرف وهو اسم مصروف وكتابته كان علي ورأيت علي ومررت بعلي . (ص ١٩ من الطريقة السماعية) .

والمخالفة الاساسية لاصول اللغة العربية في هذه الطريقة قائمة على أمرين :

١ ـ أولهما أن العرب لا يعتبرون الفتحةوالكسرة والضمة حروفا مثل الالف والواو والياء ، وانمايعتبرونها حركات تدخل على الحروف فلا تظهر في الالفلتعذرها، ويظهر بعضها على الواو والياء . واذا كان السيد صاحب الطريقة قد ترك الفتحة ولم يجعلها ألفا ، فمن باب معاملة المثل بالمثل أن يترك الكسرة والضمة فلا يجعلهما ياء وواوا .

٢ ـ وثانيهما أن المؤلف يوجب تحريك أواخر الكلمات عند الكتابة ، وكثير منها لا يتحرك عند القراءة، والعرب ـ كما تقرر القاعدة المشهورة ـ لا تبدأ بساكن ولا تقف عند متحرك . فلا تقول في هذه القاعدة متحرك بالكسر والتنوين ، وانما تقول متحرك بالسكون .

ثم ان في هذه الطريقة خطرا على النطق باللغة العربية ، فقد تنقلب هذه الحركات مع مرور الزمن الى حروف ، فتلفظ مطولة ممطوطة مثل : وجود التي تكتب ووجوو دون وستلفظ حتما على هذا الشكل ، وفي هذا اضاعة تامة لاصول النطق العربي الصحيح .

تلك هي المخالفة الاساسية لاصول اللغة العربية ، فهل يتحقق مع ذلك الشرط الثاني من شروط كل طريقة جديدة في الكتابة والنحو ؟ وهو أن يكون في هذه الطريقة تيسير على العربية وطلابها لا تعسير ومشقة .

والجواب في كل اطمئنان : لا

ان هذه الطريقة تزيد في صعوبة الكتابة العربية

العربيتو السماعيَتو

طريقتو؟ جديدتو؟ لى التهجيأتى والكيتابتى

العربية السماعية

طريقة جديدة للتهجئة والكتابة

عبد المجيد الناجي الفاروقي

بكلوريوس علوم برتبة شرف

وأستاذ علوم من جامعة أكسفورد

محاضر في اللغة العربية في جامعة درهام

الطبعة الثالثة منقحة

لندن ، نوفمبر ١٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

وتعقدها ولا تيسرها في قليل ولا كثير ، قد تكون صالحة للاجانب في بدء تعلمهم للغة ولكنها ليست صالحة للعرب على الاطلاق :

١ ـ لانهـا تفرض سلفا معرفة ضبط الكلمات واعرابها عند الكاتب قبل القارىء ، وفي ذلك تعسير على الكتاب كبير ، ولا سيما أولئك الذين يجيدون التعبير ولا يجيدون الاعراب أو التصريف ومعرفة أبواب الفعل الثلاثي على سبيل المثال •

٢ ـ لانها تستلزم زيادة كبيرة في كتابة الحركات حروفا ، بل ان الكلمة المركبة من أربعة حروف تصبح فيها ثمانية مثل وجود ، وفي ذلك اجهاد للكاتب والقارىء والطابع والناشر على السواء •

٣ ـ الكاتب أو القارىء لا يحتاج الى تشكيل كل حرف ولا سيما في الكلمات المشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول •• فعندما تقول جاء قارىء أو كاتب ، وتقول اللوح مكسور ، تعرف من صيغ الكلمات قراءتها على هذا الشكل أو ذاك •

ان علماء النفس يقررون أن الانسان يقرأ بذاكرته قبل أن يقرأ بباصرته وذلـك مـا يصنعه في الحروف والكلمات ، فكيف لا يصنع ذلك في الحركات •

٤ ـ هذه الطريقة تعقد الكتابة حين تفرض عليك الفصل بين الحروف المتصلة مثل كتابة لجسمك ، على هـذا الشكل لى جسمى ك • فتفصل اللام عن الجيم والميم عن الكاف ، وكلها متصلة ، ولا أدري لم لم يفصل الجيم عن السين •

تلك هي ملاحظات أولى على هذه الطريقة ، ولا شك أنها نمت بصلة النسب الى حـد ما الى مقترحات الدكتور طه حسين في الكتابة حسب القراءة ، وان كانت بعد ذلك تذهب بعيدا عنها •

ان لكل مـن لغات العالم مستوى من الصعوبة ، وليست هنالك لغة لا صعوبة فيها ، وان كان حظ هذه الصعوبة متفاوتا ، ونحن أبناء اللغة العربية نعرف أن لغتنا مثل سائر اللغات لها مستوى معين من الصعوبة ، والمفروض فينا أن نبذل مـن الجهد ما نبلغ به مستوى تلك الصعوبة •

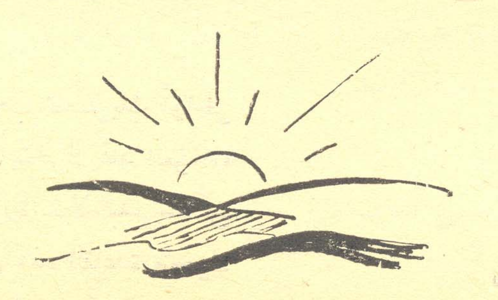
ماذا يقول أهل الصين في كتابة لغتهم ؟ بل ماذا يقول الروس واليونان الذين لهم حروف معينة تتفق مع الحروف اللاتينية في الكتابة وتختلف عنها في النطق؟ يسروا اللغة العربية ولكن حافظوا على أصولها وحروفها أولا ثم ليكن هذا التيسير أمرا واقعا وحقا ، لا تعسيرا ولا تعقيدا •

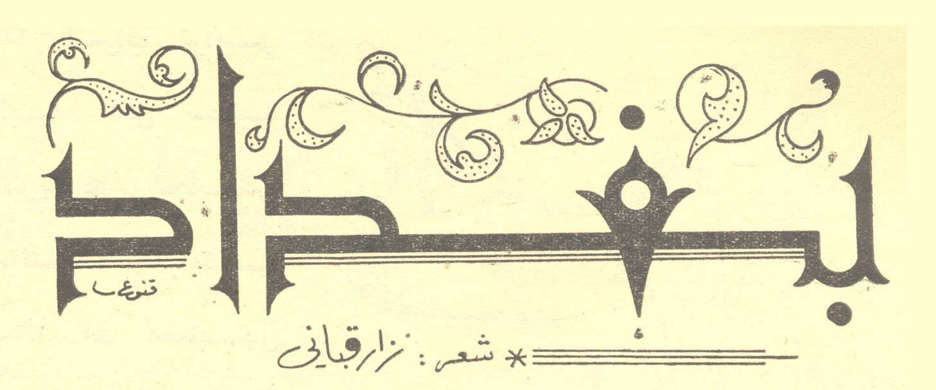
ما أبعدنا نحن أبناء اللغة العربية ، وما أبعد اللغة العربية عن يارا وعن الحروف اللاتينية ، وعن الطريقة السماعية •

يخيل الي أن هـذه الطرق وأمثالها لم تصنع لنا ولا للغتنا •

دمشق ٢٥-٤-١٩٦٢

عبد المعين الملوحي





* شعر : نزار قباني



مدي بساطك واملأي أكوابي
وانسي العتاب فقد نسيت عتابي
عيناك يا بغداد منذ طفولتي
شمسان نائمتان في أهدابي
لا تنكري وجهي فأنت حبيبتي
وورود مائدتي وكأس شرابي
بغداد جئتك كالسفينة متعبا
أخفي جراحاتي وراء ثيابي
ورميت رأسي فوق صدر أميرتي
وتلاقت الشفتان بعد غياب
أنا ذلك البحار ينفق عمره
في البحث عن حب وعن أحباب
بغداد طرت على حرير عباءة
وعلى ضفائر زينب ورباب
وهبطت كالعصفور يقصد عشه
والفجر عرس مآذن وقباب
حتى رأيتك قطعة من جوهر
ترتاح بين النخل والاعشاب
حيث التفت أرى ملامح موطني

وأشم في هـذا التراب ترابـي

لـم أغتـرب أبـدا فكل سحابة

بيضاء فيهـا كبريـاء سحابـي

ان النجـوم الساكنـات هضابكـم

ذات النجوم الساكنـات هضابـي

بغـداد عشت الحسـن في ألوانـه

لكن حسنك لـم يكن بحسابـي

مـاذا سـأكتب عنك يا فيروزتـي

وهـواك لا يكفيـه ألـف كتـاب

يغتالني شـعري فكل قصيـدة

تمتصني : تمتص زيت شبابـي

الخنجـر الذهبي يشرب من دمـي

وينـام في لحمـي وفي أعصابـي

بعـداد ياهـزج الخلاخـل والحلى

يا مخـزن الاضـواء والاطيـاب

لا تظلمي وتر الربابـة في يـدي

فالشوق أكبـر مـن يـدي وربابـي

قبل اللقـاء الحـلو كنت حبيبتـي

وحبيبتي تبقـين بعـد ذهابـي





أقبل اليوم السابع

قصة بقلم : زكريا تامر

جنحت للافول شهوة غاضبة ، كانت تطلق صراخا أبحا في شرايين رجل وامرأة ، هربا من ضجيج المدن ، وانزويا وحيدين طوال ستة أيام في غرفة لها باب واحد، ونوافذ عديدة مطلة على باحة البيت .

وحط غراب في اليوم السابع على غصن أخضر من أغصان شجرة النارنج المزروعة في باحة البيت . ونعب طويلا ، فارتجفت المرأة ، والتصقت بالرجل دونما كلمة ، وكان اخضرار شجرة النارنج موشى بالثمار الناضجة ذات اللون القرمزي . ولمس الرجل شعر المرأة بيدين سعيدتين وبائستين في آن واحد . وكان فم المرأة عنبا فجا أحمر ، ولنهديها رائحة نبات بري ، وكانت الارض آنئذ صغيرة بحيث تستطيع احتضانها ذراعا طفل .

ونعب الغراب ثانية ، فتثاءب الرجل بتكاسل بينما كانت عينا المرأة في تلك اللحظة متسولتين بلا أطفال ، تطرقان الابواب المقفلة ، وتناديان أطفال الآخرين بمذلة .

وانتاب الرجل خوف غامض ، وحاول تجاهل المرأة ، فتخيل سحبا من الجراد لم تجد ما تأكله على وجه الارض ، فبدأت تلتهم الارض نفسها ، غير أن عيني المرأة استمرتا تلاحقانه بندائهما الضارع الذليل . واضطر الرجل لان يتخلى عن خموله ، وصنع من الطين طفلا وسيم القسمات ، وقدمه الى المرأة متوجسا .

وصاح الطفل باكيا لحظة انزلقت حلمة ثدي المرأة بين شفتيه المنفرجتين ، وتحركت ذراعاه وساقاه ، واكتسى لحما أبيض مغطى بزغب أشقر ، فاشتدت بهجة المرأة ، وضمت الطفل الى صدرها ، وناغته بصوت مفعم بالحنان، فأدرك الرجل أنه لم يعد لديه ما يفعله . ودلف الى احدى غرف البيت ، وأغلق بابها خلفه باحكام ، وأسدل الستائر على النوافذ طاردا ضوء النهار ، ووقف أمام المرآة ، وحين أوشك أن يضرب حنجرته بمدية مثلومة الحد ، اجتاحه شوق عارم مباغت لرؤية الارض والبشر لآخر مرة ، وخضع لرغبة ضارية في تحدي شيء ما فظ مختبىء في غور العالم انما اسمه مجهول ، فأفلتت اصابعه المدية ، وقال لنفسه بكثير من الاكتئاب : يجب أن أقاتل .

وغادر البيت ، وتحول الى متشرد يزرع الارض ، وتعاقبت عليه الليالي ، وفي اليوم السابع بلغ مدينة حجرية المباني ، وكان ناسها جميعا من خشب ، وكان الصيف من خشب ، وكانت الجياد والرماح والمرايا والورد من خشب . وكانت المحطات فارغة مهجورة ، والقطارات محطمة في أمكنة قصية .

ونعب الغراب ، وتجول الرجل حزينا واجما في طرقات المدينة الصامتة بينما الغراب يتبعه باصرار . وذهل الرجل عندما شاهد بغتة فتاة في مقتبل العمر تقترب منه ، ولم تكن من خشب ، وكانت جميلة وفتية ، وخاطبته بألفة كأنه صديق قديم :

— يجب أن تنقذ هؤلاء الناس .

وأشارت الى رجال ونساء وأطفال من خشب .

فقال متسائلا : كيف صاروا خشبا ؟

فابتسمت بغموض وقالت : الكراهية .

فردد الرجل بدهشة قائلا : الكراهية !؟

— هناك امرأة حقدت على المدينة حتى حول حقدها الناس الى خشب . اذا قتلت تلك المرأة عادوا أحياء .

— أين هي ؟

فقالت الفتاة وهي تشير بيدها نحو باب بيت مفتوح:
ـ ستجدها هناك .

ودهش الرجل اذ لم يكن للبيت مظهر شرير .

ونعب الغراب ، وقال الرجل بحيرة : هل اقتلها ؟

ـ ستجد في باحة البيت سيفا معلقا على الحائط ، وهذا السيف وحده القادر على صرعها . احذر أن ترى وجهها . اطعنها من الخلف . سيسحرك حقد وجهها ويحولك الى خشب . واستأنفت الفتاة سيرها ، وحين هم الرجل بمناداتها كانت قد اختفت في طريق فرعية ، وبقي الرجل وحيدا بين رجال ونساء وأطفال من خشب، متسمرين دون حراك .

وحوم الغراب ، وأحس الرجل بالخوف والتعب يهيمنان عليه ، ولكن رغبته في رؤية وجه الارض وبشرها وهبته قوة مبهمة ، وتدفقت في دمه صرخة انسان غامض يتحدى عدوا لا يبصر وجهه .

وتقدم الى الامام ، ودلف الى داخل البيت الذي كان صامتا ، ووجد السيف معلقا على الحائط ، وكان صدئا عتيقا ، مقوس النصل ، والتفت أصابعه حول مقبضه ، وانتابه قليل من الجزع غير أنه قال لنفسه : يجب أن أقاتل .

وبحث عن المرأة الحقود في عديد من الغرف فلم يجدها انما عثر عليها في آخر غرفة وطأتها قدماه ، وكانت تقف قرب النافذة تتطلع الى شوارع المدينة بينما أدارت ظهرها لباب الغرفة .

ونعب الغراب ، وتردد الرجل ، وخيل اليه أن قدميه من حديد ، وان البشر المتحولين الى خشب يحاولون الصراخ من حناجر خشبية ليحثوه على التقدم فتمسكت أصابعه بمقبض السيف ، وتقدم الى الامام بحذر ورهبة .

وكان يعرف أنه رجل هالك عما قريب ، ولن يكون له وقتئذ صوت ليبوح لامرأة ما بكلمات الحب .

ودفع السيف في ظهر المرأة بقوة ، فغاص النصل حتى المقبض ، وتراجع الرجل الى الوراء بينما السيف يقطر دما ، وانهارت المرأة الى الارض ، مرتمية على ظهرها . ونعب الغراب ، واقترب الرجل من جثة المرأة الهامدة ، وفوجىء بأن المرأة لم تكن الا الفتاة الوديعة التي قابلها قبل قليل في شوارع المدينة ، وكانت عيناها مغمضتين ، ووجهها ترين عليه طمأنينة وفرح باهر .

ونعب الغراب ، وظل الرجل ردحا من الوقت يتأمل وجه المرأة الجميل ، وأدرك أنه سيظل حتى الموت أسيرا له ، غير أن هدير ناس المدينة أنقذه فقد عادوا أحياء .. يصخبون ويضحكون ويتبادلون الكلمات .

ومشى الرجل في الشوارع بينما دهمه حنين جارف للصمت الذي كان مهيمنا من قبل على مدينة ناسها من خشب . ولم يأبه أحد له ولم تمتد يد لمصافحته بحرارة، ولم يضحك وجه لرؤيته ، ولم يقل له أحد : مرحبا .

وافترسته وحشة شرسة فغادر المدينة وهي في ذروة أفراحها ، وتعاقب عليه العديد من الايام ، ووصل الى بيته العتيق في اليوم السابع ، ووجد المرأة ما تزال تهدهد الطفل الذي كان يبكي ، ولم تأبه المرأة لرجوعه.

ودلف الى غرفة من الغرف ، وأمسك بالمدية ، ولم يكن لديه ما يفعله في تلك اللحظة ، فقد كانت أجمل القصائد مكتوبة ، والافكار كلها قد صيغت في كلمات وطبعت في كتب ، وثمة آلاف الدكاكين تبيع اسطوانات معبأة فيها الموسيقى والاغنيات . وكانت المدينة كلها قد شيدت ، وهناك الكثير من الايدي مستعدة لان تبني شيئا ما . ولم يكن ثمة حاجة ماسة لرجل متعب ، وتذكر ما فعله فرأى أنه كان أمرا حسنا .

وضرب الرجل حنجرته بالمدية بحركة حاقدة ، فتهدل رأسه فورا الى الامام ، ثم سقط الرجل على ظهره، وأنصت لاصوات الدم المتدفق من جرح عنقه بايقاع رتيب . وتناهى اليه بكاء الطفل الذي سرعان ما خفت نحيبه شيئا فشيئا ، وكان الغراب ما يزال جاثما على غصن شجرة النارنج وقد نعب نعيبا ضعيفا ثم هوى الى أسفل .

دمشق ـ زكريا تامر

فلسفة الضحك والبكاء

« بقلم: الفردستر »
تعريب اديب اليوسف

حين أحاول الاجابة عن هذا السؤال : « لماذا نضحك ونبكي ؟ » ، لا أحب أن أبحث عن الدوافع النفسية التي تدفع الناس الى الضحك أو الى البكاء ، لكنما أقصد أن أسأل : كيف يمكن أن نعلل ظاهرتي الضحك والبكاء النفسيتين تعليلا فلسفيا ؟ كيف ندرك ادراكا منطقيا هاتين الظاهرتين الرئيسيتين اللتين تظهر بهما نفسيتنا ، واللتين يختص بهما البشر رغم أنهما بعيدتان كل البعد عن نطاق العقل ؟ •

وفي رأيي أن الضحك يعلل بأنه حكم من أحكام القيمة ، حكم سلبي فطري على انحطاط يصيب القيم ، الا أنه لا يصدر بالالفاظ بل بأصوات غير مقطعية ندعوها: الضحك •

بيد أن الضحك ليس فقط رد فعل من جانبنا على انحطاط في القيم ، بل هو في بعض الاحيان فعل يؤدي الى انحطاط في القيم ، بل هو في بعض الاحيان فعل الى انحطاط في القيم ، أو هو على الاقل محاولة نحو احداث انحطاط في القيم ، فحينما نضحك على شخص ما ، أو على عمل قام به شخص ما ، نحاول أن نحط من قدرهما ولو لم يكن فيهما انحطاط في القدر أو القيمة ، وغالبا ما ننجح في هذه المحاولة •

هناك مثل فرنسي يقول : « السخرية تميت » انها بطبيعة الحال لا تميت المرء في جسمه بل قد تقتله في معنوياته ، في قيمه • انها قد تقتل القيم • لذلك يمكن أن يكون الضحك ذا نتائج مفجعة •

اذا ضحكنا على شخص يتصف بالجد أو اذاضحكنا على عمله فاننا نسيء اليه ، ويحق له أن يحس بهذه الاساءة ، لانه يدرك بفطرته أن هذا الضحك محاولة للحط من قيمته أو من قيمة عمله في عيون الناس الآخرين •

وظاهرة البكاء تمت بقرابة وثيقة الى ظاهرة الضحك • وقد بان لي الفرق الاساسي بينهما بصورة واضحة عندما حاولت أن أعلل اثنتين من ذكريات طفولتي • أذكر أنني كنت أقوم بنزهة مع أبي وأحد زملائه السيد ف• في أحد المصايف النمساوية • وكنت اذ ذاك في حوالي السابعة من عمري • وكانت الطرق موحلة ومغطاة بمياه الامطار التي انقطعت بعد أن هطلت بغزارة شديدة • وفجأة زلقت رجل السيد ف• وسقط على الارض الموحلة ، ثم نهض فورا مبللا وعليه طبقة من الوحل بينما انفجر أبي ضاحكا •

لم أفهم سر هذا الضحك في ذلك الحين ولا علمت أن السيد ف• قد ساءه هذا الضحك من جانب أبي • وبعد سنوات علمت أن أبي لم يكن يحب السيد ف• الذي لم يكن في الحقيقة أهلا للحب •

والآن ، اذا أحببت أن أعلل ضحك والدي على ضوء نظرية القيم ، أصل الى هذه النتيجة : حين يسقط المرء في حفرة مليئة بالماء والوحل وينهض منها مبللا ومكسوا بطبقة من الوحل ، تتحول الشخصية البشرية ، التي يفترض أنها مصدر جميع القيم الروحية ، مؤقتا الى شيء تافه ، الى شيء من أشياء الطبيعة ، خاضع للجاذبية وللقوى الميكانيكية الاخرى ، كسائر الاشياء المنفعلة غير العاقلة الخالية من القيم والرتب • بهذا التحول من ذات تصدر القيم الى شيء خال من القيمة ، يعاني المرءانحطاطا مؤقتا في قيمته ، والضحك الذي يبعثه في الآخرين بسلوكه مسلك الشيء الجامد العديم الحياة هو حكم

سلبي فطري من أحكام القيمة (استهجان) ، غايته انتقاد ذلك الانحطاط ومعاقبته .

لعل أبي ما كان ليضحك لو كان يحب السيد ف. بعض الحب أو يعطف عليه بعض العطف ، لان الحب والعطف ، كما لاحظ امرسون ، قد يمنعاننا من ملاحظة الامور المضحكة التي تستدعي السخرية . وهذا يعني ، حسب نظرية القيم ، أن بعض الحب كان جديرا بأن يمنع أبي من أن يرى في السيد ف. ، أثناء سقوطه في بركة الماء والوحل ، شيئا منفعلا فقط ، خاضعا لقوى ميكانيكية خالية من القيم ، تحط من قيمة ما يفترض أن يكون عليه الانسان ، أعني : مركز انطلاق القيم الروحية ولئن استاء السيد ف. فلانه استشف في ضحكة والدي حكما سلبيا فطريا من أحكام القيمة متحزبا ضد حرمته الانسانية .

أما المغزى الفلسفي لظاهرة البكاء فقد اتضح لي لدى تحليل ذكرى أخرى من ذكريات الطفولة . ففي أحد الايام ـ وكنت في حوالي التاسعة من عمري ـ قادتني أمي الى المدرسة . وفي الطريق رأينا رجلا يتعثر ثم يسقط على الشارع المبلط . فضحك بعض المارة ، لكنهم لم يلبثوا أن توقفوا عن الضحك ، لان الرجل لم ينهض مرة ثانية . فطلبت مني أمي أن أنتظرها لحظة عند مدخل أحد المنازل لكي تجنبني الانطباعات المحزنة ، وذهبت مع أشخاص آخرين لمساعدة الشخص المجهول. وبعد بضع دقائق رجعت تبكي . لان الرجل أصيب بكسر في الجمجمة وفارق الحياة .

الآن ، فقط ، أفهم الفرق فلسفيا بين هاتين الحادثتين ان الذي دفع أبي الى الضحك كان انحطاطا في القيم . أما الذي دفع أمي الى البكاء فكان فقدان القيم . فلا بد أن أمي بفطرتها قد رأت في موت الرجل ، ولو لم تعرفه، فقدانا للقيم . لان أي حياة بشرية تمثل مجموعة من القيم : قيم أخلاقية ، قيم فكرية ، قيم جمالية ، قيم دينية واجتماعية ـ وبالايجاز ، قيم روحية . والموت يعني فقدان تلك القيم النوعية المجتمعة في شخص من البشر .

وليس فقدان القيم وحده يدفع الى البكاء بل ان تهديد القيم أو عدم القدرة على بلوغها يمكن أيضا أن يستدعي البكاء .

يمكن بصورة عامة أن نؤكد ما يلي :

نحن نضحك على القيم التي انحطت أو لكي نحط من قدر القيم ، لكننا نبكي على القيم المهددة أو المفقودة أو التي لا يمكن بلوغها . واذا كان الضحك على ما هو هزلي تعبيرا فطريا عن حكم سلبي من أحكام القيمة (عن استهجان) على انحطاط في القيم ، فان البكاء هو التعبير الفطري عن حكم ايجابي من أحكام القيمة (عن استحسان على قيم مهددة ، أو صعبة المنال أو مفقودة . وهكذا يشير البكاء دائما الى أشياء نقدرها تقديرا ايجابيا (نستحسنها) .

ويمكن أن نقول ان دموع الخوف والقلق تعبر عن أحكام ايجابية (من أحكام القيمة) على قيم تبدو مهددة ، بينما دموع الحنين الى الوطن ودموع الغم والحزن تعبر عن أحكام ايجابية (من أحكام القيمة) على قيم مفقودة . أما دموع خيبة الامل ودموع الغضب فهي تعبير عن أحكام ايجابية (من أحكام القيمة) على قيم صعبة المنال .

ان هذا الموقف ينطوي في الظاهر على تناقض ، لان البكاء ، رغم تعبيره عن أحكام ايجابية (عن استحسان) يعتبر هو قيمة حيوية سلبية لذلك لا نحب أن نبكي . والضحك ، رغم تعبيره عن أحكام سلبية (عن استهجان) يعتبر هو قيمة حيوية ايجابية ، لذلك نحب أن نضحك . ومن السهل حل هذا التناقض حين يكون الامر متصلا بالبكاء ، فبالرغم من أننا نعبر بدموعنا عن تقديرنا لبعض الاشياء تقديرا ايجابيا ، ولا يخفى أن ما نبكي من أجله هو التهديد الذي تتعرض له تلك القيم الايجابية أو صعوبة منالها أو فقدانها . وواضح أن تهديد القيم الايجابية ، وصعوبة منالها ، وفقدانها ، هي قيم سلبية . لذلك يعتبر البكاء قيمة سلبية فلا نحب أن نبكي .

التناقض في الضحك :

لكن ما قولك في الضحك ؟ نحن نحب أن نضحك ونعتبر الضحك قيمة حيوية ايجابية رغم أنه يعبر عن تقدير سلبي (استهجان) وهذا يبدو متناقضا . لكن يجب أن نعترف بأننا لا نكره التفوه ببعض أحكام القيمة السلبية من حين الى حين . ومن يعبر عن حكم سلبي من أحكام القيمة - سواء بطريقة منطقية أم بطريقة فطرية كما في الضحك - ينتقد انحطاطا في القيم اقترفه شخص آخر ، باستثناء الحالات التي نضحك فيها على أنفسنا ، لائمين أنفسنا على ما ارتكبناه نحن من انحطاط في القيم .

ان العبارة التي تقابل « انتقد » في اللغة اليونانية هي ، وهي تعني « الحكم » . من ينتقد ، ويلفظ حكما سلبيا من أحكام القيمة - سواء بالمفاهيم العقلية والكلمات أم بالاصوات غير المقطعية التي ندعوها ضحكا - يعتبر نفسه حكما على الشخص الذي ينتقده ، وهذا يمنحه شعورا سارا بالتفوق .

لكن هذا ليس سوى أحد الاسباب التي تدفعنا الى الضحك ، ولا شك في أنه ليس أكثر الاسباب مدعاة لفخر الرجل العاقل . أعتقد أن هناك أسبابا أخرى تبدو لي أهم ، وهي تتصل بالصنعة المزدوجة للضحك : أعني الضحك بوضعه انتقادا للفرد من قبل المجتمع من جهة ، والضحك بوصفه انتقادا للمجتمع من جانب الفرد من جهة أخرى . ومن هذه الزاوية الاخيرة يبدو الضحك نوعا من تحرر الفرد من أثر الضغط الذي تمارسه الزمرة الاجتماعية عليه ، بفضل نظام القيم الملزم الذي تملكه .

ان المجتمع يضحك على نقاط الضعف البشرية (نقائص) التي يعبر عنها الافراد ، لان نقائص البشر هي انحطاطات في القوى البشرية ذات القيم الايجابية التي يحاول المجتمع ادامتها . لذلك نجد المجتمع يعاقب بالضحك تلك العيوب البشرية التي يستطيع الفرد أن يتجنبها .

اذا ضحك اخواننا من البشر حين نرتكب حماقة فان الضحك عقوبة معتدلة وتحذير ، يريد المجتمع بهما أن يقول لنا : « احذروا فقد انحدرتم بالقيم الفكرية ، التي هي امتياز الانسان . راقبوا أنفسكم وكونوا أكثر انتباها واجتهادا فبذلك تتجنبون هذه التصرفات المعيبة » .

ونحن نرى ها هنا مظهرا تربويا للضحك - وظيفته الاصلاحية التي تظهر فائدته الاجتماعية .

والمجتمع يعاقب بالضحك أيضا أي انحطاط ضئيل في القيم الاخلاقية قد يقترفه أفراده ، كالاحتيال والغش والمباهاة . لكننا لن نضحك على أية وصمة أخلاقية اذا كانت من الوصمات الاخلاقية الفاضحة كالخيانة والغدر والنفاق والاتهام الباطل . لان هذه لم تعد ألوانا من انحطاط القيم الاخلاقية بل صارت ألوانا من فقدان القيم الاخلاقية الذي يبعث على ذرف الدموع .

وكم يندر ويتعذر أن نضحك على ألوان الانحطاط في القيم الجمالية ، كما تبدو في الاشخاص الذين ابتلوا بالقبح . حين نضحك على شخص قبيح أي على شخص يحط بمظهره الجسمي فقط ، من قدر بعض القيم الجمالية التي تكون حيوية في بعض الاحيان ، نشعر بتأنيب الضمير ، لان هذا الشخص ليس مسؤولا عن قبحه . ان قبحه خارج عن ارادته ، انه من طبيعته .

وهكذا لا يكون في وسع الانتقاد الذي نعبر عنه بالضحك أن يؤدي وظيفته الاصلاحية . لان الضحك ، وهو الظاهرة الاجتماعية المرتبطة بالقيم ، اذا اصطدم بالطبيعة فسوف يغلب لانه الطبيعة أقوى منه . ان المجتمع لا يحبذ الضحك على انحطاط القيم الجمالية التي تبدو في القبح لدى البشر لانه وسيلة تربوية واجتماعية عقيمة ، بل يستهجن المجتمع هذا الضحك ويعده معيبا وغير لائق . وهذا أيضا يمكن تعليله وفق نظرية القيم . اننا اذ نضحك على حساب شخص قبيح نخشى أن نسيء الى معنوياته ونسبب له فقدان ثقته بنفسه . ان عقابنا ، في هذه الحالة ، للانحطاط في القيم الجمالية ، كما يظهر في قبحه ، يمكن أن يؤدي الى فقدان القيم الاخلاقية . فيكون رد الفعل من جانب الضحية هو البكاء . يصدق

هذا على الاخص بالنسبة للبنات والنساء القبيحات ، لان قيمة الجمال الجسماني الجمالية لها في سلم القيم لدى الاناث ممنزلة أسمى منها في سلم القيم لدى الذكور ، لان مصير المرأة الشخصي يتوقف الى حد كبير على مظهرها الجسمي •

الضحك « الشائن » :

لكن ، لئن كان المجتمع يستهجن ، لهذه الاسباب، ضحكنا على القبح البشري ويعتبره « شائنا » وغير لائق ، فانه يشجع ضحكنا على أي انحطاط في القيم الجمالية ناشىء لا عن الطبيعة بل عن فعالية بشرية مقصودة • فالمجتمع مثلا يشجعنا اذا عاقبنا بالضحك تلك الالوان من الانحطاط الحقيقي أو المزعوم في القيم الجمالية الذي يدعى « الفن المتفسخ » ، ويبيح لنا أن نضحك على المهرج •

لكي نفهم العلاقات المرتبطة بالقيم الموجودة بين الفرد والمجتمع يجب أن نميز بين القيم الفردية ، والقيم الجماعية ، والقيم العمومية • فقد قيل ان القيم ، ما دامت علاقات بين أشياء وأشخاص يقدرونها فهي كلها قيم فردية • لكن هذا الرأي قصير النظر لانه لا يرى أن القيم الفردية ليست سوى تلك القيم التي تتوقف على الصفات الفردية لدى الاشخاص الذين يقدرونها • بينما القيم المستقلة عن الصفات الفردية لاولئك الذين يؤكدونها هي قيم موضوعية •

وأميز في هذه الفئة الاخيرة من القيم (القيم الموضوعية) بين القيم الجماعية والقيم العمومية وأقصد بالقيم الجماعية تلك القيم التي تعتمد على الصفات الجماعية للجماعة التي تؤمن بها ـ مثلا ، طبقة أو حزب سياسي • وأقصد بالقيم العمومية تلك القيم المستقلة عن الصفات الفردية والجماعية لاولئك الذين يؤمنون بها •

ان غالبية الافراد ، والجماعات في المجتمع ، والمجتمع بكليته ، ينزعون الى اظهار قيمهم بمظهر القيم العمومية وهذا يوضح حالة حرب القيم التي تشن بين الفرد والمجتمع ، بين الفرد وجماعة خاصة ، بين الفرد والفرد ، وبين مختلف الجماعات ضمن المجتمع • ويعد الضحك سلاحا من أمضى الاسلحة في هذه الحرب الدائرة بين القيم • اذا أريد الاحتجاج على دعوى أحد الافراد أو احدى الجماعات بأن قيمها قيم عمومية فما على الجهة المنافسة الا أن تحط من قدرها أي أن تسخر منها وتضحك عليها •

نظام القيم الخاصة بالمجتمع :

ان أغلب القيم الفردية والجماعية تمليها المصالح والاذواق الخاصة • لكن في المجتمع تتعادل المصالح الخاصة المختلفة بعضها مع بعض ولا يرتفع الى السطح الا القيم العامة جدا • وهذا يفسر لنا لماذا يتضمن نظام القيم الخاصة بالمجتمع قيما أكثرها من النوع العمومي الشامل ولا سيما تلك القيم الضرورية لسلامة المجتمع • لذلك يحاول المجتمع الحفاظ عليها وحمايتها بالعقوبات الخاصة • وألطف هذه العقوبات هو الضحك الذي يعاقب المجتمع به كل من ينحط بالقيم التي يحرص على حمايتها والحفاظ عليها •

والمجتمع المثالي هو ذلك المجتمع الذي لا يحوي نظام قيمه الا قيما عمومية • لكن أي مجتمع من المجتمعات الحالية بعيد نوعا ما عن هذا المثل الاعلى • وعدد القيم الجماعية الخاصة بالطبقة الحاكمة أو القيم الفردية الخاصة بالدكتاتور يتجاوز في فترات التفسخ عدد القيم العمومية الخاصة بالمجتمع • لان المجتمع الذي من هذا القبيل لا يشرف على قيمه العمومية ولا يديرها ادارة سليمة ومستقيمة •

ان معظم انتقاد المجتمع يكون موجها ضد القيم الجماعية الخاصة ببعض الجماعات الخاصة التي تعيش بين ظهرانيه ، وضد القيم الفردية الخاصة ببعض الاشخاص الغريبي الاطوار والتصرفات لان المجتمع يرغب في أن يصون نظام قيمه الخاص من كل أذى الاشخاص الغريبي الاطوار والتصرفات • لان المجتمع يلحق به ، ويريد أن يزيد من نفوذه ، ويحاول فرضه على كل الناس فيستخدم الضحك ليحط من منزلة أي نظام للقيم منافس له ، أي من منزلة نظم القيم الجماعية

لدى بعض الجماعات الخاصة أو من منزلة نظم القيم الفردية لـدى بعض الافـراد الذين يتمتعون بفردية قويـة ٠

والجماعات الخاصة أو الافراد رغبة منهم في تجنب هذه العقوبـة المتمثلة في الضحك يتخلون عـن قيمهم الخاصة المختلفة اختلافا ظاهرا جدا عن قيم الاكثرية ٠ وهكذا يقوم المجتمع بوظيفة التمثيل بواسطة الضحك أو التهديد بالضحك ٠

هذه الصفة الخطيرة لضحك المجتمع على الافراد والجماعات الخاصة توضح رد الفعل مـن جانب الفرد والجماعة الخاصة ازاء المجتمع وكيف يثأرون لانفسهم بالضحك على المجتمع ، وبمحاولة الحط بضحكهم من قدر نظام القيم الخاص بالمجتمع الذي يشعرون بأنهم يعيشون تحت وطأته ٠

هذا هو المظهر الاساسـي الثانـي للضحك الذي ذكرته أعني انتقاد الفرد للمجتمع ٠ ومن هذه الزاوية يبدو الضحك نوعا من تحرر الفرد تحررا روحيا من الضغط الذي يمارسـه المجتمع عليه بوساطة نظام قيمه المتسلط الملزم ٠ فالفرد اذ يضحك على بعض القيم التي يتمسك بهـا المجتمع ، يحاول أن يحط مـن قـدرها ، وبذلك يؤكد استقلاله الشخصي ازاء المجتمع ٠ واذن ، فالقيمة الايجابية التي ننسبها الى هذا الضحك مشتقة من حرية التقدير التي يستعيدها الفرد من المجتمع الذي يفرض قيمه على الافراد فرضا ٠

والسلاح الماضي الـذي يشحذه الفرد في حرب الضحك هذه ضد المجتمع هو النكتة ٠ التي يوجد منها أصناف بعدد أصناف القيم ٠ فهناك نكت تحط من قدر القيـم الفكرية ، ونكت أخـرى تحط مـن منزلة القيم الاخلاقيـة ، والقيم الجماليـة ، والقيم الدينية ، والقيم الاقتصادية ٠٠ الخ ٠

النكتة الجنسية :

ان عدد الحكايات التي تستمد تأثيرها الهزلي من الحط من قدر القيم الاخلاقية التي تختص بهـا الحياة الجنسـة يستحق التفاتا خاصـا فلدينا ، من جهـة ، الاهواء الجنسية القوية ، ولدينا ، من جهـة أخرى ، الموانع التي تنصبها في وجه هذه الاهواء الاخلاق والدين والتقاليد الاجتماعية والعقوبات القانونية ٠ ولا يستطيع الفرد الافلات من الضغط الاجتماعي الذي تمارسه هذه المحرمات والتقاليد ، ولا يستطيع انتهاكها دون أن يعرض نفسه للعقوبات الاجتماعية والقانونية ٠ فيثأر لنفسه بأن يعمد ، بوساطة النكت والحكايات ، الى الحط من قدر تلك القيم الاخلاقية المتصلة بالحب الجنسي ٠ التي تجهد التقاليد الاخلاقية والنواهي والمحرمات القانونية لحمايتها٠ ان الضحك الذي ينشأ من تلك المحاولات هو بالنسبة للفرد نوع من التحرر الرمزي من الضغط الاجتماعي الذي يشكو منه ٠

وحين لا يعود الفرد يشكو من تأثير تلك التقاليد والروادع لا يعود في حاجة ماسة الى الحط من قدرها ٠ لذلك نجد أن مـن يحكي أشـد القصص لذعـا ليس السيدات الطاعنات في السن ولا السادة الطاعنين في السن٠

وهناك أنواع كثيرة من الضحك لا علاقة لها بالهزل أذكر منها هنا نوعين فقط : ضحكة الفرح ذات الصلة الوثيقة بدموع الفرح ، وابتسامات التواضع ، والتأدب ٠٠ الخ ٠ فهذان النوعان من الضحك اللذان لا يدخلان ضمن الضحك الهزلي يمكن تفسيرهما ، لا على أنهما سبيل للحط من القيم ، بل بظاهرة أخرى اسمها التقليل من القيم ٠ وأعني بالتقليل من القيم أي تناقص كمي في قيمة سلبية أو ايجابية لا يؤدي بالضرورة الى انحطاط كيفي ٠ فحين أقلل ، مثلا ، مـن قيمة الصفة السلبية لقيمة سلبية ، لا أسبب لهـا انحطاطا في القيمة لانها لا تعاني من جراء ذلك أي تشويه في صفاتها ٠ جل ما هنالك أنني أقلل من قيمتها تقليلا كميا فقط ٠

ابتسامة التواضع :

هناك أنواع كثيرة من الابتسامات : ابتسامة التواضع، ابتسامة التأدب ، ابتسامة الترحيب ، ابتسامة التشجيع ٠٠ الخ ٠ وقد حاولت أن أعللها جميعا بالاستعانة بمفهوم التقليل من القيمة ٠

دعني أتناول فقط ابتسامـة التواضع على سبيل

المثال • اذا أثنى أحد ، من قبيل المجاملة ، على سيدة جميلة أو على فنان أو عالم عظيم ، فان هؤلاء ، بصورة عامة ، يردون على مجاملته بابتسامة • أهي ابتسامة فرح ؟ قلما يحدث ذلك ، اللهم الا اذا كانت السيدة تهوى الرجل الذي جاملها ، واذا كان الفنان أو العالم يعتبران الرجل الذي أثنى عليهما رجلا علميا وناقدا ضليعا في العلم والفن • لكن الابتسامة التي نرد بها على احدى المجاملات تكون على العموم ابتسامة تواضع تعبر عن تقليد اجتماعي لا عن شعور صادق • وقد حاولت أن أعلل هذه الابتسامة وفق نظرية القيم فوجدت أن كل من يستجيب بابتسامة التواضع لمجاملة من شخص آخر يحاول أن يقلل من قيمته الخاصة لكي يجعلها أصغر في عيني شريكه أو أعين شركائه •

وابتسامة التواضع ، على العموم ، ليست مخلصة ، بل هي كذبة اجتماعية الا أنها ضرورية للعلاقات الاجتماعية • لان كل من يأبى أن يرد على المجاملة بابتسامة التواضع يعتبر فورا متعجرفا ويقول الناس عنه : « هذا الرجل واثق جدا من قيمته ! » •

واذا كان من يقبل المجاملة بلا ابتسامة تواضع امرأة فانها سوف تتعرض فورا للانتقاد ، ولا سيما من قبل النساء اللواتي يشهدن تصرفها ، ان المرأة التي تأبى أن تقلل – ظاهريا على الاقل – بابتسامة التواضع من القيمة الحالية التي نسبت اليها بوساطة المجاملة ، لا بد أن تعرض نفسها لشتى أنواع الانتقادات •

ستقول عنها السيدات الاخريات : « انظر اليها ! لقد صدقت أنها جميلة • انها تتصور أنها متفوقة حقا ! »

لكن هذه المرأة حين تسمح لشفتيها بأن تنفرجا

لكن هذه المرأة حين تسمح لشفتيها بأن تنفرجا
عن ابتسامة تواضع تتظاهر بأنها تقلل من القيمة الجمالية لجمالها فيغتفر لها امتلاكها لهذا الجمال •

قلت من قبل اننا نبكي على القيم المهددة أو المفقودة أو صعبة المنال • لكن ماذا أقول عن الدموع التي نذرفها حين نقرأ أو نشاهد مأساة تمثل على المسرح ؟ لما كانت الحوادث التي تقدمها المسرحية خيالية بحتة فليس يبدو أن القيم التي تشتمل عليها مهددة أو مفقودة أو صعبة المنال •

كان أرسطو محقا حين أكد على الصنعة الخيالية للحوادث التي تمثلها المأساة وللشخصيات المأساوية • لكنني أرى أنه ينبغي لنا أن ندرك أن القيم التي تشتمل عليها المأساة ليست خيالية على الاطلاق • ان مقياس وجود القيم هو حظها من الصدق ولا علاقة لذلك بكونها خيالية أو واقعية • لان القيم التي ثبت صدقها في التجربة الخيالية للفنان قد ثبت صدقها في الحياة في الوقت ذاته ، لان الصدق المثالي هو في الوقت ذاته صدق واقعي • ومن هنا تصدر أهمية الخبرات الخيالية في المسرحية الفنية لان نتائج القيم التي تشتمل عليها تكون صادقة للحياة ذاتها •

فاذا بينت المأساة ، في نطاق الخيال ، أن بعض القيم مهددة ، أو صعبة المنال أو ممفقودة ، اذا بينت الخطر الذي تتعرض له هذه القيم على صعيد الخيال ، فان الخطر الذي تتعرض له يمكن اثباته أيضا على صعيد الواقع • وهكذا يمكن تبرير الدموع التي نذرفها لدى قراءة أو مشاهدة مأساة وفق نظرية القيم •

يمكن أن نقول مع (كانت) ان الانسان مواطن ينتمي الى عالمين ، لا الى عالم ميتافيزيقي وعالم اختباري كما رأى كانت ، بل الى عالم قيم وعالم حوادث سببية طبيعية خال من القيم • وأعتقد أنه خلال حياته كلها يتأرجح ما بين حافتي هذين العالمين • انه ينفق الكثير من طاقاته لكي يحتفظ بتوازنه في عالم القيم لكيلا يسقط في العالم الطبيعي الخالي من القيم المؤلف من الاسباب العمياء والذي يتجه نحوه بتأثير قوة تشبه الجاذبية ، وذلك لان الانسان ينتمي بشطر من وجوده الى هذا العالم الطبيعي المؤلف من الاشياء والاسباب الطبيعية •

ان هذا الجهد له ما يبرره لان الضحكة التييطلقها الانسان بسبب انحطاط القيم الانسانية يكون لها صداها السيء في مسمع من يذهب ضحية هذا السقوط في عالم الطبيعة القاسية الخالي من القيم •

الحذاء الأحمر

قنوع

رائعة جديدة للشاعر: الياس فرحات

يا هند يا قيثارة الحب
يا أقرب الناس الى قلبي
يا بسمة من ثغر نيسان
يهدي سناها كل حيران
يا قطرة الطل على الورد
يلمحها الساري فيستهدي
وا حيرتي ! ماذا أسميك
كل الملاحات التقت فيك

★★★

الليلة القمراء والفجر
والواحة الخضراء والنهر
والبلبل الصداح والطل
والنرجس الفواح والفل
والروض من عطر وألوان
والفن من شعر وألحان
ما حار مثلي شاعر صب
في وصف ما أبدعه الحب

★★★

يا هند يا قارورة الطيب
يا من سمت عن كل تشبيب
ما كان أحلاها سويعات
كانت لنا بين البحيرات
الجو صاف والهوا دافي
والكون عنا غافل غاف
والطير سكرى من أغانيك
والصب يستجلي معانيك
يوحي اليه الحب ما يوحي
من طيبات القلب والروح
شعرا له ـ واللحظ تفسير ـ
كالخمر أو كالسحر تأثير
القيه معسولا بأذنيك
همسا فألقاه بعينيك
صدرك منه هابط صاعد
والقلب فيه قائم قاعد
ألحب ، يا ويلي من الحب
كم فيه من مستسهل صعب

ساعاتنا الزهراء يا هند
مرت ولم نشف الجوى بعد
لم نفرغ الكأس التي رحنا
نمتصها مذ بالهوى بحنا
هذا سعير الشوق في صدري
ما زال يشتد ويستشري
لي فيك آلام وآمال
ان الهوى العذري قتال
آليت أن أكتم أوجاعي
حتى ولو فاجأك الناعي
أشقى ولا ألتمس السعدا
كي لا تقولي أخلف الوعدا

★★★

قد كنت في التفكير غرقانا
يا ليتها تسعدني الآنا
لما رأيت الخوف يغشاك
مما ترى في الجو عيناك
نبهني قولك : يا رب
من أين جاءت هذه السحب
قم قبل أن يجرفنا السيل
قم قبل أن يدركنا الليل
قمنا ورحنا ننهب الارضا
احداقنا مما ترى مرضى
برق كهذا البرق انذار
يعلن أن الغيث مدرار
يا ليت نلقى حولنا بيتا
أو خيمة في القرب ، يا ليتا
والله ما خوفي على نفسي
لكن على من اذهبت تعسي

★★★

كنا كعصفورين اذ نمشي
أقصتهما الريح عن العش
ضلا وعصف الريح يشتد
والغيم يسود ويمتد

والغيث قد باشر تهتانه
والقبة السوداء ملآنة
حتى وصلنا كوخ صياد
تملأه ضجة أولاد
هذا هو المأوى الذي كنا
نبغي ليمضي خوفنا عنا

***

قابلنا الاولاد في الباب
مثل قرود دون أذناب
كانوا مع الخنزير والكلب
بالركض يلهون وبالوثب
تجمعهم في ذلك الوكر
آصرة الوحشة والفقر
كسوتهم واحدة الجنس
وحل من الرجل الى الرأس
لا تفرق الام بلا تفكير
بين ابنها والكلب والخنزير
رباه ان الفقر والجهلا
يستنزفان الروح والعقلا

***

بعد قليل جاءت الام
بالضيفة الحسناء تهتم
عريانة أو نصف عريانة
مثل امالي كبكبانة [1]
لكن عري العسر والذل
ليس كعري اليسر والدل
قالت لنا عذرا وذا المقعد
فالعطر لا يلبث أن ينفد
والمقعد المغني لوحان
لم يعرفا فرشاة دهان
قلت اقعدى يا هند يا عيني
لسنا هنا الا أسيرين
فالماء في الخارج طوفان
والدرب أنهار وغدران
والنوم في زاوية الكوخ
أمنية تملأ يافوخي !
هذا هو الشهد الذي يملي
دون جناه ابر النحل
وهي التي تلسعنا الآنا
كي لا يكون الشهد مجانا
فافتر لي ثغرك عن بسمه
فيها عبير الورد والطعمه
بسمة من يستنكر الشهدا
فضلا عن استنكاره المهدا

(١) اجمل شواطىء السباحة في البرازيل

ما كان الا الجد في هزلي
اذ كنت كالصياد اذ يصلي !
حتى اذا ما انقطع الوبل
والشمس عادت مثلها قبل
تكسو الثرى والجو ديباجا
منداح في الآفاق مواجا
أعطيت مما كان في جيبي
شيئا لعار غير ذي عيب
والشكر للام زففناه
ينضح بالاخلاص معناه
ثم انثنينا لا يجارينا
الا محب فيه ما فينا
نقفز فوق الماء أحيانا
والوحل رخوا يتلقانا
تمشين قربي مشية الاعفر
خوفا على حذائك الاحمر !
آنا أمامي آنة خلفي
آونة كفك في كفي
والحق في جنب الذي خافا
لا تصنع الازهار أخفافا
هذا شقيق فوق منثور
رجلاك فيه موجتا نور
لم تخلقا من ناصع ناعم
الا لوطء العنبر الفاغم

***

ثم انتهى الشوط بنا لما
أقبلت السيارة العظمى
فاحتملتنا وانثنت فورا
لا تتقي نجدا ولا غورا
حتى دنت من معبد البلده
وانتثرت ركابها عنده
سرت الى البيت واياك
ندعو ليوم ضاحك باك
يوم سألنا الدهر ارجاعه
فالعمر من ساعاته ساعه !

***

ما أضيع الايام يا هند
يفصل فيها بيننا البعد
عمر طويل أجوف معنا
لفظ كثير ما له معنى
كأس تقي نفسي من الحزن
عن ألف زق فارغ تغني !

***

برازيل ـ فرحات



أدب المقامات

بقلم الدكتور: صفاء خلوصي

لادب المقامات مكانة خاصة لا في أدبنا العربي فحسب بل في الادب الافرنجي كذلك ، فهو معروف في أدب الغرب باسم أدب الكدية وهذا التعبير مشتق من اللفظة الاسبانية (PICARO) أي «المحتال» ويشمل أدب الكدية مجموعة من القصص الخيالية التي تعنى بالمحتالين والمشعوذين وأشهر أمثلتها قصة : « لازاريلو مواطن مدينة تورمز » و «قزمان مواطن مدينة الفراش» وكلتاهما بالاسبانية وأشهر قصة من هذا اللون في الادب الفرنسي هي قصة « مغامرات جل بلاس السانتلاني » تأليف ليسيج نشرت سنة ١٧١٥ ٠

وباعتقادنا أن أول من وضع شكل المقامات في الادب العربي هو ابن دريد الازدي (المتوفي سنة ٣٢١ هـ) الذي كتب جملة من الاحاديث الادبية تبلغ الاربعين عدا ٠ ولا يزال قسم منها محفوظا في كتاب « الامالي » لابي علي القالي ٠ أما الذي أوحى بموضوع المقامة للادباء من بعده فهو الجاحظ (المتوفي سنة ٢٥٥ هـ) الذي كتب رسالة فقدت عن « الكدية والمكدين » وجاء بعدهما أحمد بن فارس الرازي (المتوفي سنة ٣٩٠ هـ) فكتب مقامات لم يصلنا للاسف منها شيء ، ثم ظهر تلميذه بديع الزمان الهمذاني فكتب أربعمائة مقامة لم يعثر منها حتى الآن الا على خمسين مقامة وأكبر الظن أن العدد ٤٠٠ جيء به للمبالغة والا فأن العدد ٥٠ هو الرقم الاعتيادي لكثير من مجاميع المقامات وقد يكون بديع الزمان قد ضمن مقاماته بعض مقامات استاذه ابن فارس مع شيء من التغيير والتحوير ٠

وأعقب الهمذاني في هذا المضمار ابن نباتة السعدي (المتوفي سنة ٤٠٥ هـ) الذي كتب مجموعة من المقامات لم تحظ بأي شهرة ٠ ثم ظهرت مقامات أبي القاسم بن ناقيا البغدادي (المتوفي سنة ٤٨٥ هـ) ولكنها فقدت ، حتى اذا ما ظهر الحريري كانت المقامة قد وصلت ذروتها الثانية ، وكانت قد وصلت ذروتها الاولى في شخص الهمذاني ٠ والحق أن الهمذاني أكثر حيوية من الحريري في رواية مقاماته ٠، وهي على العموم أقصر من مقامات الحريري ، والحريري أبرع من الهمذاني في الالفاظ والمفردات التي يتعاورها ، والظاهر ان الرأي العام العربي يرجح المتانة اللغوية على الحبكة القصصية ٠

وقد قيل ان المقامة الاولى التي وضعها الحريري هي المقامة الثامنة والاربعون في مجموعة مقاماته ، وهي الموسومة ب « المقامة الحرامية » ويشك بعض النقاد في أن تكون هذه المقامات من صنع الحريري نفسه فقد قيل انها لرجل مغربي دخل البصرة فمات فيها وكان مصاحبا للحريري فاستولى عليها وانتحلها ، ذلك لانه أخفق في أن يأتي بمثلها عندما وضعه وزير المسترشد بالله موضع الامتحان اذ قال له : « أنا رجل منشىء ! » فاقترح عليه انشاء رسالة في واقعة عينها فانفرد في ناحية من الديوان ٠٠ ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء من ذلك فقام وهو خجلان ٠٠ فقال في ذلك ابن أفلح الشاعر يهجوه (من المنسرح) :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما
رماه وسط الديوان بالخرس

هذا ما ذكره ابن خلكان في وفيات الاعيان ، ونزيد على ذلك ان كنية « أبى زيد » ـ بطل مقامات الحريري » أكثر شيوعا في افريقيا الشمالية منها في المشرق ٠ وليس بمستبعد أن يكون هذا الرجل المغربي الذي استولى الحريري على مقاماته هو أبو زيد السروجي نفسه وانه مؤلف المقامات حقيقة فقد حكى أبو القاسم عبد الله ابن الحريري قال : كان أبي جالسا في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر ، رث الحال ، فصيح الكلام حسن العبارة ، فسألته الجماعة : « من أين الشيخ ؟ » فقال : « من سروج » ،فاستخبروه عن كنيته فقال : « أبو زيد » فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور فليس بمستغرب اذن أن يكون أبو زيد هو الذي الفها

لا سيما ونحن نعرف أنه كان فصيح اللسان بشهادة ابن الحريري نفسه وانه هو الذي عزاها الى الحريري ، واشتهرت هذه المقامة حتى اذا ما وصلت الى مسامع الوزير واستزاده منها طلب الحريري الى صاحبه المغربي أن يضيف اليها مقامات أخرى فأكملها خمسين مقامة لقاء أجر معين فالظاهر ان ما كان يهم المغربي المال لا الشهرة ولم يكن بوسعه الوصول الى الوزير ففضل أن يقدم جهوده الادبية للحريري لقاء ثمن . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن مؤيدا ما ذهبنا اليه هو : لماذا لم يقدم الحريري مقاماته كاملة من أول الامر ، أكان ينتظر من المغربي أن يتمها له ؟ ولماذا اكتفى بهذا القدر ولم يكتب أية مقامة أخرى طوال حياته فالذي نعرفه أن صاحب الفن لا يمكنه أن يتخلى عن فنه بالمرة مهماشغلته الشواغل فقد يدفعه الحنين للعودة اليه ولو بعد فترة طويلة . والى ذلك يسائل المرء نفسه : لماذا لا يشك النقاد في مقامات الهمذاني ونسبتها اليه ، ولكنهم يثيرون عاصفة من الشك حول مقامات الحريري ؟ فلا بد أن يكون في الامر موضع لريبة .

ويظهر من مؤلفات الرجل الاخرى انه لم يكن مبدعا ، بل كان مصنفا فكتبه الاخرى من نحو : « ملحة الاعراب » و « درة الغواص في أوهام الخواص » لا تدل على نزعة ابداعية مما يحتاج اليه مؤلف المقامات أو القصص الفنية التي شاعت في القرن الرابع للهجرة .

ولقد أدلى الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨ هـ/١١٤٣م بدلوه مع الدلاء فجاءنا بمائة مقالة ، خمسون منها على هيئة مقامات ، في مجموعة وسمها بـ « أطواق الذهب » ومقاماته هذه من أقصر أنواع المقامات يعوزها « الراوي » و « الشكل » فهي أشبه ما تكون بالخطابات الادبية التي استهلها مؤلفها بعبارة : « يا أبا القاسم ! » وعورض هذا الكتاب بمثيل له الفه شرف الدين عبد المؤمن الاصفهاني اسماه : « أطباق الذهب » .

وكتب في المقامات أيضا أحمد بن الاعظم الرازي اثنتى عشرة مقامة وذلك سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م رواية عن القعقاع بن زنباع .

وعورضت مقامات الحريري في المقامات الزينية لواضعها زين الدينبن صيقل الجزري المتوفي سنة ٧٠١ هـ/١٣٠١ م وتضم ٥٠ مقامة وقد نسبها الى ابي نصر المصري وجعل راويتها القاسم بن جريان الدمشقي .

أما مقامات السيوطي فأقرب ما تكون الى أدب الرسائل منها الى المقامات ولم يفلح صاحبها في محاكاة الحريري على وجه الدقة والضبط غير ناصيف اليازجي في مقاماته التي عنونها بـ « مجمع البحرين » .

وقد نهض بين العراقيين من جارى أسلوب المقامات فكانت مقامات أبي الثناء الآلوسي .

وقد ترجمت مقامات الحريري الى الفرنسية والانكليزية والالمانية والفارسية وتجد المقامة«البرقعيدية» وهي التي تتضمن تعامي أبى زيد ومحاولة امرأته أن تقوده وتفرق له الرقاع بمصلى العيد صدى لها في قصة : « لازاريلو دي تورميس » وهي قصة اسبانية مؤلفها غير معروف على وجه التأكيد نشرت سنة ١٥٥٣ تتضمن تاريخ حياة ابن طحان بقلمه عاش على شواطىء نهر تورمز بالقرب من سلامنكا . يبدأ الصبي حياة التنكيت والاحتيال كدليل لرجل أعمى فيسرق منه طعامه ودراهمه، ويقوم بخدمة عدد من المحتالين الى أن يصل الى منصب دلال مدينة طليطلة ، ويظهر أن هذا المنصب من المناصب التي كان يطمح اليها الناس يومذاك ، وقد غدت حياته مصدرا لعدة صور انتقادية لنماذج اسبانية منوعة .

والمقامة - ان شئت - أقصوصة ، وان شئت مسرحية قصيرة . هي وسط بين المسرحية الشعرية والنثرية . انها مسرحية مسجوعة يكثر فيها الحوار ويقلل الوصف ، غير انها - في الواقع - أقرب الى طبيعة الاقصوصة فيما لو أخذنا تعريف « ايدكار آلن بو » بنظر الاعتبار اذ يقول : « الاقصوصة هي تلك القطعة الادبية التي تقرأ في جلسة واحدة ، وتستغرق قراءتها في الغالب من عشر دقائق الى نصف ساعة ، وتتمثل فيها وحدة الدافع والتأثير ، وهي على الاكثر تجربة شعورية واحدة غرضها توسيع فكرة صغيرة ، أو اثارة الانتباه الى قضية قد تكون في حد ذاتها تافهة ، بعد وضعها في أطار جذاب » أهـ .

والمقامة هي النوع الوحيد من القصة التي ابيحت كتابتها لذوي المكانة من المؤلفين .. وحتى في هذه الحالة، فان الحريري يعتذر عن تأليفه للمقامات كما لو كانت منقصة من قيمته الادبية ، اذ يقول في مقدمة مقاماته : « وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه ، فالحق بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..» الى أن يقول : « .. ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات ، أو أثم رواتها في وقت من الاوقات . ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ، فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب ؟ وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم ، أو هدى الى صراط مستقيم ؟ » أهـ .

هذا أجمل دفاع عن كتابة فن القصة ومحترفيها وصل الينا من أحد أوائل من مارس هذا الفن أو ادعى ممارسته . ويبدو أن الكتاب كانوا يتأثمون من كتابة القصص لانها مبنية على الخيال ، والخيال ابتعاد عن

الحقيقة فهو بالتالي ضرب من الكذب ، وما ينبغي لمسلم أن يكذب .

يقول الحريري قوله هذا وفي نفسه مع ذلك شك من صحة ما يقول فيردف : « على انني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا ، وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم » .. فهو اذن يتصور في قرارة نفسه ان القصص من هذه الامور التي تصم الانسان بمعرة السوء ، أو هكذا كان يعتقد الجمهور الذي يحيط به .

ومن أهم عناصر « المقامة » ، الفكاهة ، فالمقامات الخمسون التي وضعها الحريري « تحتوي على جد القول وهزله .. وملح الادب ونوادره ، وعلى اللطائف الادبية .. والاضاحيك الملهية » .

وشعر المقامات الحريرية كله من نظم الحريري عدا أربعة أبيات أحدهما للوأواء الدمشقي ، وثانيهما للبحتري ، وهما في « المقامة الحلوانية » ، وبيتان توأمان لشاعر ثالث في المقامة الكرجية ، والكثرة الغالبة من المقامات منسوبة الى مواقع جغرافية معينة .

والدارس « للمقامة الصنعانية » ، وهي أولى المقامات التي يفتتح بها مجموعته ، يجد نفسه أمام أقصوصة فنية فيها العقدة والذروة والحل ، فالعقدة تشتمل على قصة رجل محتال يتظاهر بما ليس فيه ليحصل على بعض المال .. وتصل « ذروتها » عندما يكتشف الحارث بن همام وهو الرجل الذي تعقبه الى الكهف حقيقته فيقول : « فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت أثره من حيث لا يراني ، حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غراره فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ، ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ وجدى حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ ، فقلت له : « يا هذا ، أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك ؟ » .. ويبدأ « الحل » أو «الانحدار» عندما يعترف له السروجي بالحقيقة كاملة وتنتهي القصة .

وتكون حركة القصة لا عن طريق قوة التشخيص على نحو ما نجد في بعض الاقاصيص التحليلية في أيامنا هذه ، بل بموسيقى السجع الرائعة التي تضفى على الاقصوصة عمقا زمنيا وليس في هذه المقامة غير ثماني « نقاط حركة » ، ومع ذلك فهي أقصوصة كاملة من جميع الوجوه الفنية . لذلك فقد آن لنا أن نصحح خطأ شائعا عند دارسي الفنون الادبية وهي أن الاميركيين أول من اكتشف « الاقصوصة » وكان رائدها « ايدكار آلن بو » ، والحق أن العرب أول من اكتشفها يوم نسجوا من الحوادث الصغيرة التافهة وحدات أدبية فنية جميلة ، والفرق الوحيد بين الاكتشافين هو أن الاول وضع ليقرأ بالاذن — اذا جاز التعبير — فلا بد له من جمال الموسيقى ، ووضع الثاني ليقرأ بالعين فلا بد له من جمال الوصف والحركة التمثيلية . كتبت الاولى للمجالس وكتبت الثانية للصحف السيارة يوم أعرضت عن نشر الروايات المتسلسلة لتسلية قرائها فعمدت الى تقليص الرواية وتقليل عدد ابطالها بحيث يمكن نشرها في عدد واحد ، وتقرأ عادة بعد الفراغ من الاخبار المحلية والعالمية في جلسة واحدة . ويرى المتتبع ان عدد ابطال المقامة جد قليل فهم لا يزيدون على اثنين أو ثلاثة ، وهذا أيضا من الشروط المهمة لنجاح الاقصوصة الفنية .

صحيح ان الاوربيين أخذوا أدب المقامات من العرب عن طريق اسبانيا يوم كتب « ماثيو اليمان » مقامة المحتال في القرن السادس عشر ، ولكن الحقيقة انها لم تكن مقامة الا في موضوعها وهو الكدية ، أما من الناحية الفنية فهي لم تكن مقامة وبالتالي لم تكن أقصوصة ، وذلك لكثرة الحركة فيها ولتعدد الابطال ، وعلى ذلك فهي لم تكن أكثر من رواية ملخصة ، وليست الاقصوصة رواية ملخصة بأي حال من الاحوال بل هي حادثة واحدة (لا عدة حوادث كما في الرواية) يهبها قلم الكاتب أهمية خاصة فهي وحدة فنية وتجربة شعورية تهز النفس كالقصيدة الرائعة التي هي الاخرى وحدة فنية وتجربة شعورية معينة .

وليس من الحق أن نأخذ أحسن أقصوصة فنية ونقارنها بأسوأ مقامة ونقول أن المقامة هي غير الاقصوصة فكما أن هناك أقاصيص حديثة فاشلة فهناك أيضا مقامات فاشلة ، ولكننا اذا ما أخذنا الاقصوصة الفنية الاعتيادية وقارناها بأية مقامة اعتيادية لم نجد فارقا بين الاثنين من حيث توافر الشروط الفنية والخصائص الاساسية . ولقد ادخل المستشرقون في روعنا — مع الاسف — ان لا أقصوصة ولا ملحمة ولا قصة عندنا وهم في هذا أحد اثنين اما جاهل أو مغرض .

ويلاحظ المتتبع الذي يوازن بين المقامات المختلفة أن الهمذاني أكثر تحدثا عن تاريخ الادب العربي في مقاماته من الحريري فهو يتحدث لك في «المقامة القريضية» مثلا عن امرىء القيس والنابغة وزهير وطرفة ، ويوازن بين جرير والفرزدق ويفاضل بين المحدثين والقدامى فيسأل عيسى بن هشام وجماعته أبا الفتح الاسكندري قائلين : « فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظا وأكثر من المعاني حظا ، والمتأخرون الطف صنعا وأرق نسجا » والى هذه العبارة أشار أبو العباس المبرد في الكامل حين قال : « وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ذي حق حقه وذلك رأى البديع في حكمه » .

ويتطرق الهمذاني الى الجاحظ وابن المقفع في المقامة الجاحظية ٠

ولا تشابه في عناوين المقامات اللهم الا في المقامة الساسانية وهي عند الحريري أبلغ منها عند الهمذاني والمقامة الحلوانية والدينارية والكوفية والبغدادية والبصرية ومقامات الحريري أكثر صقلا من مقامات الهمذاني ٠ والمقامة الحلوانية للحريري شبيهة بالمقامة القريضية للهمذاني وقد ذكر فيها البحتري ولكن شتان ما بين المقامتين فالاولى أفضل وانضج ٠

والحريري أكثر اغراقا في السجع من الهمذاني وسجعه أروع موسيقى وأكثر حلاوة وانك لتنتهي من مقامة للحريري بصورة طبيعية دون أن تشعر بها مملة أو قصيرة في حين انك تنتهي من مقامة للهمذاني بغتة وانت تحس انك لم تستوف كل ما كنت تتوقع ٠ ويتبذل الاسكندري أحيانا في حديثه حتى ليقول عنه بعض مصنفي هذه المقامات والمشرفين على طبعها : « ثم ذكر كلاما يندى له وجه الادب فتعففنا عن ذكره والخوض فيه ٠ وتختلف مشاهد مقامات الهمذاني فبينا هي في الصحراء اذا بها تضحي في سوق من الاسواق ثم اذا بها تنتقل الى احدى الحمامات التي يكثر فيها الشجار كما في « المقامة الحلوانية » ٠ وبينا هو يتحدث عن قصيدة :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

في « المقامة الابليسية » اذا به ينتقل الى الحديث عن أبي نواس ٠ وفي هذه المقامة ذاتها يؤكد الهمذاني فكرة ان لكل شاعر شيطانا ويلتقي شيطان جرير ويتحدث اليه على غرار ما يفعل المعري في « رسالة الغفران » ٠٠ ومن افكه ما يذكر الهمذاني عن الشيطان ان أبا الفتح عندما بره » ، فقلت : « يا أبا الفتح شحذت على ابليس وانك لشحاذ ! » ٠ يقص عليه ابن هشام حديث أبي مرة يومىء الى عمامته ويقول : « هذه ثمرة ٠

ولا تخلو المقامات الهمذانية من تعابير بكر من نحو قول البديع : « فمن لقينا بانف طويل لقيناه بخرطوم فيل ، ومن لحظنا بنظر شزر بعناه بثمن نزر » ويمثل ابطال المقامات الانتهازية والانانية في المجتمع فالمثل الاعلى لابطالها : « ان كن مع الناس كلاعب الشطرنج خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك » ٠

ولعل أكثر الاسماء ترددا من بين أسماء مشاهير الشعراء هما « أبو نواس » و « جرير » وتنفرد « المقامة المضيرية » بكثرة الاسماء الجغرافية ولعلها أطول مقامات الهمذاني جميعا ، ولطول المقامة ينسى المؤلف نفسه أحيانا فيترك السجع بين الفينة والفينة ليعود اليه بعد بضع جمل مترسلة كما في الصفحة ٣٥٤ ـ ٣٥٥ مثلا اذ يستأنف السجع بعد اثنتي عشرة جملة بالضبط ٠

ومن مواقفه الهزلية موقف « بلال المزين » وقد أسكره عيسى بن هشام وقال له مشيرا الى ضيوفه الذين غدوا أمواتا من السكر : « شأنك والقوم » فحلق في ساعة واحدة خمس عشرة لحية فصار القوم جردا مردا كأهل الجنة ٠ وجعلت لحية كل واحد منهم مصرورة في ثوبه ومعها رقعة مكتوب فيها : « من أضمر بصديقه الغدر وترك الوفاء ، كان هذا مكافأته والجزاء » وجعلتها في جيبه وشددناهم في الصنان ووافى الحمالون عشاء الآخرة فحملوهم بكرة خاسرة ٠

ولم يفت الهمداني حتى الشتم فجمع صنوف الشتائم على لسان أشحذ رجلين في بغداد وذلك في « المقامة الدينارية » وتضم « المقامة الشعرية » بعض الالغاز والاحاجي الشعرية وبجد سيف الدولة موضع مدح في « المقامة الملوكية » ٠ ولعل أقصر مقامة هي « المقامة الصفرية » وهي من المقامات غير الناجحة ، وتمتاز « المقامة الخمرية » بأوصاف نثرية جميلة للخمرة يقول فيها الهمذاني :

« وسألنا عن خمرها فقالت ٠٠ كأنما اعتصرها من خدي أجداد جدي وسربلوها من القار بمثل هجري وصدي ٠ وديعة الدهور وخبيئة جيب السرور ، وما زالت تتوارثها الاخيار ويأخذ منها الليل والنهار ، حتى لم يبق الا أرج وشعاع ووهج لذاع ٠ ريحانة النفس وضرة الشمس » ٠٠ على أنه لم يزد في أقواله هذه على نثر بعض الابيات الخمرية المشهورة لابي نواس وابن الرومي وصريع الغواني ٠

أما « المقامة البشرية » فهي قصة بشر بن عوانه العبدي وقتله الاسد والافعى والابيات التي نظمها في ذلك ثم تزويجه في النهاية ابنه من ابنة عمه ٠

والشعر في مقامات الحريري أكثر منه في مقامات الهمذاني فتكاد كل مقامة من مقامات الاول تضم قصيدة من نظم واضعها وليس الامر كذلك في مقامات الهمذاني وقد توجد في بعض مقاماته قصيدة طويلة ولكنها ليست من نظمه بل هي مقتبسة ٠

وتدلنا « المقامة المكفوفية » على أن اصطياد الالفاظ الشاردة هو الذي شجع على أدب الكدية ، فالهمذاني يقول فيها على لسان بطل القصة : « كنت اجتاز في بعض بلاد الاهواز ، وقصاراي لفظة شرود أصيدها وكلمة بليغة استزيدها » ٠

ويحس الانسان أحيانا كأن الهمذاني قد دمج مقامتين في مقامة واحدة كما في « المقامة الموصلية » فالقسم الاول منها قصة الرجل الميت الذي حاول أبو الفتح احياءه ليكسب الاموال التي انثالت عليه من أقرباء الميت وجيرانه

والقسم الثاني احتياله على بعض السذج الذين كان يهددهم السيل فيطلب اليهم أن يذبحوا له بقرة صفراء ويزوجوه جارية ويركعوا وراءه في صلاة طويلة فيتركهم ساجدين ويهرب هو وصاحبه عيسى بن هشام .

وليست هذه بالمقامة الفكهية الوحيدة فهناك مثلا « المقامة المضيرية » التي هي أفكه مقامة في المجموعة كلها .. وتختم بسجن أبي الفتح مدة سنتين .

وفي حين أن الحارث بن همام راوية الحريري شخصية محترمة ولا ينحط الى درك أبي زيد السروجي فان عيسى بن هشام لا يختلف عن أبي الفتح الاسكندري في بعض الاحيان فقد ينحط الى درك أحط من درك صاحبه كما في « المقامة البغدادية » اذ يخدع أعرابيا اسمه « أبو عبيدة » فيدعوه « أبا زيد » فينكر ذلك عليه .. ولكن صاحبنا مع ذلك يصر على تسميته « أبا زيد » ويدعوه الى تناول الشواء معه وبعد أن يفرغا من الاكل يهرب عيسى بن هشام منه بحجة يختلقها ويترك الاعرابي المسكين ليدفع ثمن ما أكلاه معا .

ومن عادة الحريري أن يذكر اسم المقامة في مستهلها « كالمقامة المعرية » مثلا ، في حين أن الهمذاني لا يتبع هذه القاعدة باطراد ، وانما يلمح القارىء ذلك في ثنايا القصة .

ولا يعتري الهمذاني شعور بالنقص لكتابته المقامات على عكس الحريري الذي يعتبرها « من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع » . ولا يكتفي بهذا القول فحسب بل يضيف قائلا : « ولو غشيني نور التوفيق ، ونظرت لنفسي نظر الشفيق ، لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا . وأنا أستغفر الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو » .

فكتابة هذه المقامات أو الاقاصيص اذن في نظر الحريري أمر مقدر له ، رغم أنه غطاها بغريب الالفاظ ، وزانها بموسيقى السجع فهو لا يزال خجلا منها .. لانها أقاصيص !

وقد انتقل هذا الفن الى بلاد الاندلس فكان من الذين كتبوا في المقامات فيها ابن الاشتركوني المتوفي سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م الذي سمى مقاماته بالمقامات السرقسطية وهي خمسون مقامة كتبها بقرطبة . وجارى في نثرها شعر أبي العلاء المعري من حيث لزوم ما لا يلزم ، وجعل الراوي فيها المنذر بن حمام عن السائب بن تمام .

ولعل أبا علي القالي هو أول من أدخلها الى الاندلس فأماليه تضم مجموعة لا بأس بها من مقامات استاذه ابن دريد .

ويبدو أن اهتمام اللغويين في القرن الثالث بالمفردات اللغوية وشد الرحال الى البادية للبحث عنها حدا ببعض الاعراب النابهين الى جمعها بصورة أقاصيص وبيعها الى هواة اللغة بالقائها في المساجد لجذب الانظار اليها ، حتى اذا ما استهوت شخصا معينا منهم ساوموه على مبلغ من المال لقاء تفسير غريبها على نحو ما أورده القالي في أماليه نقلا عن استاذه ابن دريد اذ يقول : « فأعطيته دينارا » وقد أورد المبرد (المتوفي سنة ٢٨٥ هـ) في كتابه « الكامل في اللغة والادب » اذ قال : (وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال : الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . خرجنا من المدينة ، مدينة رسول الله، صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه لا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه ، والله يا قوم ، لقد جعت حتى أكلت النوى المحروق ، ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير ، أفلا رجل يرحم ابن سبيل ، وفل طريق ، ونضو سفر ، فانه لا قليل من الاجر ، ولا غنى عن ثواب الله عز وجل ، ولا عمل بعد الموت ، وهو الذي يقول جل ثناؤه : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له «ملي وفي ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الاخيار » قال فبلغني انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا) ١ هـ .

ويظهر ان القرن الثالث كان قرن فاقة وعوز مما حدا بالجاحظ ـ وهو الكاتب الاجتماعي المصلح ـ وغيره من الغيارى أن يكتبوا في موضوع خطير يهدد كيان الدولة وكان سببا من أسباب « ثورة الزنج » وقيام « القرامطة » .. فتدهور الحياة الاقتصادية شمل الكثرة الكاثرة من الادباء والشعراء الذين لم يستطيعوا ـ شأن القلة المبرزة من زملائهم ـ أن يتكسبوا على أبواب الخلفاء والوزراء ، فالتجأوا الى الاستجداء للحصول على ما يقيهم أودهم . ففي القرن الثالث ـ عصر الجاحظ ـ اذن بدأ أدب الكدية ولكنه لم يشتد ويتفاقم أمره الا في القرن الرابع ، عصر الهمذاني .

وفي رأينا ان اثنين يشتركان في شرف وضع أسس المقامات هما الجاحظ وابن دريد ، فالجاحظ وضع أسلوبها القصصي ومادتها المستمدة من أدب الكدية والمكدين . أما ابن دريد فقد زودها بفكرة حشرها بالغريب من الالفاظ والعويص من المفردات . ومقاما ت ابن دريد التي لم يطلق عليها صاحبها هذا الاسم ان هي الا أحاديث أدبية فيها نكهة قصصية وقد جمع لنا طائفة منها أبو علي اسماعيل

بن القاسم القالي (٩٠١ – ٩٦٧ م) في كتابه « الامالي » ولا ندري مبلغ ما أسهم فيها القالي نفسه فقد نقلها عن أستاذه ابن دريد على ما يدعى ·

يمزج القالي في أحاديثه الشعر بالنثر على عادة أصحاب المقامات ولكن سجعه قليل ولا يتعمده وانما يأتيه اتفاقا · وأدخل أحاديثه الادبية في باب المقامات : « مطلب خطبة الاعرابي السائل في المسجد الحرام » فهي كدية مسجعة يستهلها بقوله :

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو زيد قال : بينا أنا في المسجد الحرام اذ وقف علينا أعرابي فقال : يا مسلمون ان الحمد لله والصلاة على نبيه ، اني امرؤ من أهل هـذا الملطاط الشرقي ، المواصى اسياف تهامة ، عكف علي سنون محش ، فاجتبت الذرى وهمشت العرى ، وجشمت النجم ، واعجت اليهم وهمت الشحم والتحبت اللحم ، واحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس اوزاعا ، والنبط ، قعاعا ، والضهل جزاعا ، والمقام جعجاعا ، يصبحا الهاوى ، ويطرقنا العلوى ، فخرجت لا اتلفع بوصيده ، ولا أتقوت هبيده ، فالبخصات وقعه ، والركبات زلعه والاطراف قفعه ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ، امشو فأغطش وأضحي فأخفش ، اسهل ظالعا ، وأحزن راكعا ، فهل من آمر بمير ، أو داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ، وسوء الموارد ، وفضوح المصادر · قال فأعطيته دينارا ، وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه » ·

لعل هذه من أوائل المقامات ، ان لم تكن أول وأقدم مقامة حفظتها لنا كتب الادب فهي تمتاز بالقصر وبوجود بطل واحد وبالاسراف في الغريب وببساطة القصة الى حد بعيد ، فهي قصة بدوي يستعطى بعد أن يذكر موطنه الاصلي وما أصاب منطقته التي يعيش فيها من الجدب والمحل والقحط ·· فيسعف بدينار واحد كمساعدة له وكثمن للالفاظ االغريبة التي قدمها مع تفاسيرها · ولا ندري مبلغ ما كان يخترعه هؤلاء البدو المكدون من الالفاظ الغريبة عندما تنفد ذخيرتهم منها ·

ويجد القارىء في المقامة القصيرة التي نقلناها أعلاه شيئا من الحركة والعمق المتأتيين عن موسيقى السجع – كما سبق أن ذكرنا – وللسجع سحر واستهواء نفسى غريب ولكيما نفهم عنصر الحركة والعمق في المقامة ينبغي أن نفهم في ختام بحثنا هذا شيئا عن الطبيعة السحرية للسجع فالسجع كان يستعمل باديء ذي بدء لاغراض السحر ومن السجع ظهر بحر الرجز وبتطور بحر الرجز ظهر القريض العربي ، وبقيت فكرة السحر مصاقبة للسجع والشعر معا ولا سيما في شعر الهجاء (والمقامات أقرب شيء الى الهجاء – هجاء الاوضاع الاقتصادية السيئة التي يجد صاحب المقامة نفسه فيها) لانزال اللعنة على المهجو ، وشعر الرثاء لاحضاء روح القتيل لئلا يزعج الاحياء بأساليب انتقامه ، وفي شعر الغزل لاستهواء العشيقة واجتذابها · وكان لابد من رصف الالفاظ النثرية المسجعة أو الشعرية بحيث ترتبط ارتباطا سحريا ، والسحر ليس كامنا في الالفاظ بل في طريقة ارتباطها مع بعضها البعض بحيث انها تسيطر على أعصاب السامع وتشل ارادته فيعمل وكأنه منوم مغناطيسيا · هـذا هو السر في أن شعر بشار أفسد الكثيرات من فتيات البصرة فحرم عليه المهدي نظم قصائد النسيب ·

وفي هذا يقول بركلمان معتمدا على كولدزيهر : واذن فلابد أن يكون الغرض الذي قصد اليه الشعر في الاصل ··· هو الغرض من جميع فن القول عند البدائيين وهو تشجيع العمل بطريق سحري ·

حقا لا تبدو آثار واضحة لمثل هذا التأثير السحري في بلاد العرب الا في أوائل شعر الهجاء فحسب ، كما أوضح ذلك كولدزيهر ·

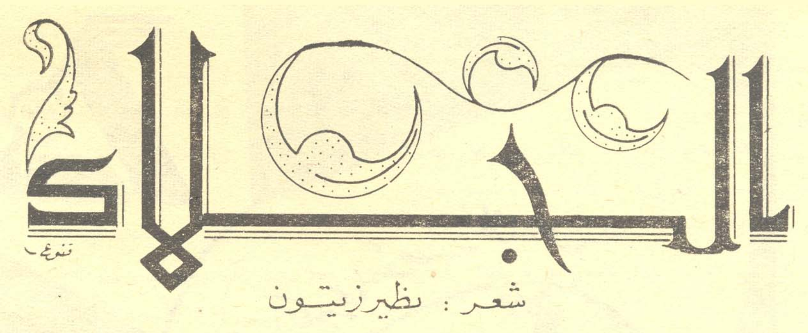
فمن قبل أن ينحدر الهجاء الى شعر السخرية والاستهزاء كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ، ومن ثم كان الشاعر ، اذا تهيأ لاطلاق مثل ذلك اللعن ، يلبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن · ومن هنا أيضا تسميته بالشاعر ، أي العالم ، لا بمعنى انه كان عالما بخصائص فن أو صناعة معينة ، بل بمعنى انه كان شاعرا بقوة شعره السحرية ، كما أن قصيدته كانت هي القالب المادي لذلك الشعر ·

وقد أنكر بشر فارس قيام علاقة بين الهجاء القديم والسحر ، نعم ·· فقد التهكم في العصر الاموي كل علاقة له باللعن ، ولكن يمكن حقا قيام هذه العلاقات في أوائل شعر التهكم والهجاء ·

وكذلك الاغاني الصغيرة ، التي يرددها البدائي في المواقف الكبرى للحياة الانسانية ، من حالات السرور والتهييج ، كانت غايتها في الاصل أن تحدث آثارا سحرية وكانت غاية الرثاء الاصلية أيضا هي السحر ، فقد كان الغرض من المرثية أن تطفيء غضب المقتول وتنهاه عن أن يرجع الى الحياة فيلحق الاضرار بالاحياء الباقين · ولكن هذا المعنى تلاشى تقريبا في الجزيرة العربية أمام الشعور الانساني بالحزن المحض ·

وتأخذ أغاني الصيد والحرب ذات التأثير السحري مكانا فسيحا في حياة الامم البدائية ·

أما الحب فانه لم يكن من البواعث الاصلية للشعر واذا كان قد بقى للعبرانيين القدماء شعر ساذج الغريزة (مكشوف الوصف) ··· كما نقرؤه في نشيد الانشاد فاننا لا نجد مثل ذلك عند العرب الا قليلا ·



شعر : نظير زيتون

زمزمت في الافق ضوضاء رعود وبروق وسلاح •
وعلى الارض زئير منكر يدوي فتهتز البطاح •
ليس في الغاب نشيد ، بل غداف الويل مبسوط الجناح •
ليس في الروض هزار ، انما الروض سيوف ورماح •
قد خبا النجم حيبا وتوارى أمل هدهده بوح الاقاح •
ذلك الفجر الحنون المرتجى بشرى سلام وصلاح • غاض
زيت الحب في مصباحه أين الصباح ؟
ظلمة عاتية فاجرة العين وقاح • أرقصي يا ظلمة الطغيان
يا بنت السفاح •
أرقصي تيها على أشلاء مجد مستباح • وامزجي ما شئت من
عار براح •
واشربي ، ثم اشربي أو عربدي ، هل من جناح ؟
هزل الدهر وللدهر غدو ورواح ، فحذار خلب الوصل ،
اذا استيقظ جبار الكفاح •

* * *

لم تنم عين لها في الصدر أنات الجراح •
لم تنم عين على ضيم تعاوى بالنباح •
لم تنم عين لها المجد حلي ووشاح •
هي عين الام في غضبتها البكر اذا ما الغدر باح ••
نهضت يا حسنها ، بين صهيل وصليل وصياح •
والرؤى الحمر تناديها وتهديها الى الحق الصراح •
جردي للنور سيفا مرهفا ، انما النور مضاء وصفاح •
فجري من دمك القاني عيونا واخضبي الارضين ساحا بعد
ساح •
وانثري الاكباد قربانا على الدرب ، وفي الدرب نضال ونواح •
ان للحرية الزهراء مهرا من دموع ودماء وقلوب ونفاح •
فاجبلي الاكباد دمعا ودما ، ولدي للعز آيات فصاح •
لن تنال الام من بغيتها ، في جنين لم يكن من ذباح •
حبل بالمجد في ظل القنا ، في بهيم من عجاج ، في بريق من صباح •
حبل بالمجد قربان السنا ، في زئير ، في زغاريد سماح •
حبل بالمجد ، لن يطوى على غير ما تهوى ، وهذا النجم لاح •
ان بعد العسر يسرا وعلى ، ومع الصبر نجاح وفلاح •
فارقبوا المولود ، يا طلعته ، يابشير العز ، يا مجنى الطماح ••

* * *

وتنزت ترتدي من أرجوان الدم ما عز الكساء •
وثبة من وثبات الدهر في نشوته الكبرى اعتدادا ومضاء •
ولها الزأرة تكبير وشدو وصلاة ونداء •
مضر في صدرها ، يا غضبة الام وقد ثارت وفاء واباء •
بالنجيع الاحمر القاني اصبغوا الرايات في يوم اللقاء •
ان نمت في الساح أبطالا نعش في صميم المجد ، في عين السناء •
وامهروا الثورة بالروح فدى ، وبما فاضت عيون من ضياء •
وانظموا الدمع وحبات الدما وسويدا القلب عقدا للعلاء •
أنظموها درة ، يا قوتة ، ماسة تكسف شهبان السماء •
واستميتوا فالمعالي نهمات • فارتقوا ذروتها بالشهداء •
واسكبوا الاحقاد نارا ولظى ، واضربوا الطغيان عزما وضراء •
بسياط لاهبات ، حملت أنف الدار وبطش النجداء •
أضرموها ثورة خالدة ، وادمغوا بالخزي جيش الدخلاء •
ألبسوا الحق رداء ساخرا ، مدفعا ، طيارة ، وابن زناء ••

* * *

الرؤى الحمر منار وهدى ، في عيون الملهمين البصراء •
ان سوريا تنادي أكبدا ، هي للعرب شعار ولواء ، يا لظئر
أرضعت من ثديها ، دولة العرب طموحا وبناء •
انها الرؤيا التي قد رفرفت ، في ذرى الالهام فوق الانبياء •
انها الحلم الذي أبدعه الله فردوس جلال ورواء •

* * *

وتنادى الشعب عزما وحجى ، لابسا للموت ثوب الكبرياء •
هو كالجن انقضاضا ومدى ، وانتفاضا وعزيفا وبلاء •
هو في القصور وفي الكوخ معا ، هو في الكهف ، وطورا في العراء •
هو في الجامع والمقهى ، وفي سوق تجار ، وأنا في الخباء •
طالب في كادح في مترف ، في أمير في كبير ذي ثراء •
شاعر في منشد ، في كاتب ، في خطيب ، في كهول ونساء •
شيخ دين ، شيخ علم ، كاهن ، رهط صدق ، ورجال فضلاء •
هزهم وجد الى الهيجا كما اهتز ملسوع بسلك الكهرباء •
نفروا للثورة البكر سراعا ، ولها الارواح نار وغذاء •
من شمال لجنوب لهب ، في جبال وسهول وحواء •
كلما استشهد منهم بطل ، زغردت أم وأخت للفداء •
هو للحرية الزهراء عرس ، زفه المجد الى ذات البهاء •
عرس في مأتم ، يا مشهدا عبقريا هز أطناب السماء •
نحن للعلياء أبكار المنى ، وبأيدينا نما الحرف وضاء •
عرب أنسابنا وضاحة ، ولنا الساح اذا حم القضاء •
كل شبر اثر في حرم ، كل مرمى بصر طيف الزباء (١) ،
كل صخر بطل مستشهد ، كأن جلمود حياة وحباء •
كل ورد آهة عذرية ، كل نجم سمر للندماء ، كل سهل كم
طوى من فاتح وكل درب للهوى فيه هداء •
كل مرمى أذن أهزوجة ، صولة فيها وزهو الخلفاء •
يا لجين الماء صفوا وصفا ، نغم فيه الجوى والبرحاء • ان
تكن تشكو من الحب الظما ، فلكم رويت أفواه الظماء •
في الفضاء السمح كم حامت رؤى وصلت بالارض أحلام السماء
هبطت نعمى على سورية ، فأذعناها صلاة ودعاء •

* * *

مرت الاعوام تترى في نضال مشمخر عبهري الخيلاء •
ميسلون ، قبلة الاحرار فينا ، هي رمز ، هي نجوى ونهاء •
قد صبغنا ربع قرن بالنجيع الحر يا نعم المداوي والدواء •
فكفاح ، بيراع وسلام وكفاح بحسام ودماء •
كان للباطل صوت وصدى ، فاذا الصوت عواء ومواء •
سكت المدفع في باطلهم ، وانثنوا بالخزي فضفاض الرداء •

(١) زنوبيا ملكة تدمر •

سكت المدفع في حجتهم ، فتهادوا بين صبح ومساء •
حصحص الحق وفزنا بالمنى ، وطردنا الغاصبين السفهاء •
وحدة الشعب سلاح قاهر ، يصرع البغي وأجناد العداء •
ليس غير الشعب من أعجوبة ، أذهلت أذهان كل الحكماء •
فهو السيد والامر له ، وهو السلطان ان جد وشاء •

* * *

قم صلاح الدين واشهد مصرع البغي وعز الحفداء •
أين غورو من تحدى جدثا ، أين ذاك التيه أين الادعاء ؟
يا له قزما تمادى ضلة ، في سراب من غرور وهراء •
نحن في الشام صلاح الدين ، عدنا واحتفلنا باللقاء ••
ضحك السيف المسجى قائلا : ان تعودوا ويحكم من أغبياء •
قد حللتم في حمانا مرحبا •• لكم الارماس فيه والفناء !
صدق السيف وهذا ثأرنا ، قد غمسناه بنار وطلاء •• (٢)

* * *

أيها التاريخ قف واخشع جلالا لتحيي الشهداء • والمغاوير
الالى قد جاهدوا بين قواد لهم أو زعماء •
حي أما حبلت بالمجد واشهد مولدا قرت به عين السماء •
وانثر الورد ذكيا ، واسكب الطيب سخيا ، واثل أوراد الثناء •
واملأ الاكواب خمرا حرة ، فلقد طابت ورودا واستقاء •

* * *

ذا وليد الدم في معركة الحق وللحق حماة كرماء •
الجـــلاء •

* * *

ذا وليد الشعب في ساح الوغى ، ذا وليد الفجر ، ذا يوم
الجلاء •
أيها الطفل العظيم المرتجى ، صانك الله لواء وضياء •
رد عنك العين ، يا مولودنا ، يا ابن نيسان السنى ، شهر
السناء •
زادك الله علوا وعلى ، ولك الارواح درع وفداء •

(٢) الطلاء ، الخمر أو ضرب منها •

حمص ــ نظير زيتون

بين العقل والقلب

بقلم : وجيه بيضون

ترى أيهما آثر وأقوى في الاثر ، بل أيهما أحق بأن نجعله معتمد النظر ، نتساند اليه في منصرف أعمالنا ليصرفنا عن مزالق الزلل ، ويقينا مغبة الخطل ؟.. أهو العقل وله قدرته في التمييز فالتصويب ، كأنه النور يثقب دياجير الشبهات ، أو المفتاح يفتح ما استغلق واستبهم ؟ أم هو القلب بنبعته الطيبة ، وصيغته وفطرته ؟

ذلك سؤال طالما راود الاذهان ، فما ان تصيب له الجواب المقنع ، والبرهان القاطع ، كأنما هو سؤال من جواب ، لا الجواب على سؤال .

فبعضهم على أن العقل لا شيء يكافئه في الحكم العدل ، يفتح لنا أبواب العبرة والموعظة ، ويمهد للصواب ويتخطى متاهات الحيرة ، كأنما تهبط عليه المعاني خيوطا من شعاعات الوحي ، فهو المعول خير معول في أي شأن نروغ فيه الحقيقة والسواد ، فيصل بيننا وبين المطلب على ما نرغب ، بما لا قبل بمثله لسواه من جماع قوانا الاخرى مهما تبلغ من امتيازها ، لانها أعجز من أن تباريه في امتيازه عن اعجازه .

وبعضهم يحتجون للقلب ، مستجمعين اليه كل خير وفضيلة من حيث لا يرون للعقل أي احسان وفضل ، فتجدهم يبخسونه حقه ، مرتخصين من شأنه ، مديلين منه بما يحيله مجتمع أخطاء وضلالات ، وما ينزله دون منزلة الغريزة باعتباره جاسيا ، قاسيا ، كالصفاة الصماء والقناة الوصلاء ، دأبه العنف على الحق والحقيقة ، والانتجاء بالاوهام والاحلام ، ثم باعتبار أن الغريزة على سذاجتها وهشاشتها وانطلاقها على شأنها وسبيلها ، أعرق في الانسانية ، وأقدر على استبصار الحقيقة ، وأعون على استشراق السعادة ، تدني منها على مقدار ما يبعد عنها الفكر الذي نكاثر به ونفاخر ، وهو منشأة أكثر آلامنا وزيفنا ، بل لوثتنا وجنوننا ، هذا الى أن مما يخفض من قيمة العقل هو أن الشكوك والظنون تفتأ أبدا تخالج في أحكامه ، وتطيح ببراهينه ، مدللة على بطلانه ، وليس يواتيه من الحقائق الا ما يقع عليه الحس من ظواهرها ، وحتى الخيال الذي يعتز به فهو مهما تسامى وتناءى لاقل من أن يقطع جازما برأي واحد دون أن يقطع به متهافتا واهنا بكثير من الحجج الصادعة والادلة الدافعة ، فاذا هو يتسكع في دياجير الخطأ ، يقطع بعضه على بعض ، وكان يحسب أنه من الصواب أقرب ما يكون . ناهيك عن ان الفضائل والمكارم لم تنفجر الا من ينابيع القلب ، ولم تنشأ ثم تتفرع وتترامى الا على مرغمة من العقل ، وهي هي كما نعلم جميعا قوام الحياة وخلاصة الخلاصة من جمالها في رفعتها ، ورفعتها في جمالها .

فان نحن تحولنا شطر القلب طالعتنا النغمة هي هي ذاتها : فئة تسني من شأنه بما يجعله كل الشأن في الحياة وفئة تهوي به الى دركه التكذب والافك والخدعة وما الى ذلك • ومن رأي أشياعه أنه هو الذي يؤلف الصور المحببة المضيئة اذ يخلع بمجمل حالاته على الاشياء مطارف الجمال والانس والحب في شتى أحوالها ، فاذا هي من زينتها وتزاويقها تحول نظراتنا الى الحياة والوجود مشرقة هائئة ، واذا هي تحول بيننا وبين آفات الملالة والسآمة ، ثم اذا بها تدرؤ عنا الكثير من الشقوة والمألمة وبحسب القلب أنه يملك من كرم الحس وكرم الصبر وما اليها ما لا شأن للعقل بمثله ، وانه هو الحقيقة ، اذ ليس ثمة حقيقة غير الشعور ، والشعور في الحياة هو المادة ، أما العقل فطارىء زائد عليها ، لان الخيال والبداهة تقدمتاه في الوجود ، ومن ثم كان القلب هو القمين بالحفل ، نصغي لندائه ، ونستجيب لايحائه ، ونلتمس عنده السكينة والرضى ، وسعادة الايمان والاذعان • ان العاطفة أقوى أثرا وأبعد خطرا من العقل ، وان هو منها الا الاجير تفرض ارادتها فيلبي صاغرا طائعا • ونحن انما نملك أن نحيا من غير تفكير ، ولكننا لا يسعنا أن نحيا من غير عاطفة وشعور ، لاننا أقوى بالحاسة والجسد منا بالفكر والروح • وليس أدل على ذلك من أن أسمى وأعذب ما في الحياة هو الحب ، وانه لمن عمل القلب ، لا من عمل العقل الذي ينكره ولا يقره ، يتنكر بجموده لشتى أحواله في فتونه وجنونه ، فيتسبب للانسانية بأكبر آفة في سعادتها ، اذ يمنع الشعور من التسامي فوق واقعه ويحول دون الروح من تحقيق وجودها ، ويحجز على الجمال فلا يفيض بمعانيه الثرة ، ناهيك عن وقوفه بالانسانية كأنها قد شطر بصرها فلا ترى الى الحياة الا مظلمة قاتمة ، وكأنها جمدت بحسها فلا سبيل لها الى استشراف جوهرها من أصلها الالهي ، فالعقل خطر على الحياة ان لم يكن العدو الالد لها • ومن ذلك كرهته واجتوته وآثرت القلب عليه •

ويتنكر دعاة العقل لهذا جميعا ، زاعمين بأن ميولنا العفوية كثيرا ما تميل بنا عن أصلها حقيرة مهينة بسبب الاستهانة بها واغفالها ، فتتعسف بنا خسائسها ذميمة • وليس غير العقل يكفحها ، وليس غيره ، وهو امتياز الانسان وزينته ، يفيد من التجارب ، ويحقق المطالب ، ويحول دون المثالب ، ويحسن الفهم عن مختلف الاوضاع ويهدي صاحبه الى الهدى ، ويرده عن الردى ، ثم يتناهى في خطره ليكون للدين أصلا وللدنيا عمادا • ولعمرك أي جدوى للمرء يكون له من القلب طلاع الارض فضائل ومكارم اذا هو خسر عقله ، فخسر نفسه ، فخسر حياته ميتا وهو حي ؟••• وهل القلب من بعد الا مستودع الشهوات والاهواء ، والنزغات الزائفة ، تنود به هنا وهناك كما تنود السفينة خفت على الامواج بين مهاب الرياح ، وهل العقل الا الدفة للسفينة تحكم اتجاهها ، وتجنبها أسباب هلكها ؟••• ولولا العقل ، لا القلب ، هل استمتعت انسانية اليوم وحضارته بما استتم لها من الجلائل والامجاد ، هل غير الفكر كشف عن الكهرباء وما تقدمها ، وعن الذرة وما سيتلوها ، وهل سواه حسر عن عفن المعتقدات الراسخة والعصبيات المستحكمة ، اذ سلط عليها مثل نور الشمس ، فاذا هي أكبر برهان على عماهة القلوب وفساد الميول وجهلها ؟•• ان سقراط وافلاطون وأضرابهما لم يجعلهم أمثلة من العبقريات الا الفكر بما ملك من أساليب الحوار الباطني الذي استثار فيهم روح البحث والابداع ، ثم انتهى بهم الى الغاية من ذروة المعرفة •

ولنرجع هنا الى السؤال في فاتحة هذا المقال : أيهما هو الصدق في حقيقته ، أيهما أولى بالرعاية والحفل : أهو القلب ، أم العقل ؟•• أما اننا لنوجز في الجواب فنقول : « ألا فلنأخذ بالعقل فيما خصنا ونابنا ، ولنأخذ بالقلب فيما ندعنا وخص غيرنا » •

اننا بمثل هذه الخطة الجامعة نؤلف بين النظر والعمل ، وبين القوتين العقلية والوجدانية ، على ما يخرج العمل أتقن وأجمل ، وأسد وأصوب ، لاننا بالفكر نصيب الابداع والحكمة ، وبالقلب نستشعر معاني



لئن رويت لك هذه الحادثة ، يا سيدي ، فما ذلك الا لانك تتخذ الكتابة مهنة لك ، ولان الوقت قد حان ، على ما أعتقد ، فأقطع صمت عزلتي ، وأجهر بالحادثة ليطلع عليها الناس جميعا • ومن حقك أنت أن تنقح لغتي القاصرة ، كما جرت العادة في عالم الادب • وان رجائي اليك أن تهب روايتك أقصى ما في وسع تدوين أمر واقع بلوغه من قوة وحنق ، من أسى وتحذير • انها لضرورة قصوى ، اذ لعل الناس آنئذ يؤمنون بصدق ما أنا آخذة في سرده •

انني أقيم في بناء كبير ، يجهلني فيه الناس كل الجهول ولا يلقون في ما أتميز به حقا • فما من أحد على وجه التقريب يعرفني • فالنافذتان الاثنتان في غرفتي ، تشرفان على شارع ، لا شمس فيه • ومن خلال ستائري أتطلع الى جدران البيوت المقابلة • اذ من العبث أن أحظى بمشهد أجمل وأمتع ، ما دمت لم أعد أمعن النظر الا في الماضي •

يصادفني سكان البناء مرة أو مرتين في اليوم ، حين أخرج حاملة شبكتي الخاصة بالمؤن ، لارجع بعد قليل ، فأنا أمشي في بطء وتؤدة لاني أعاني مرضا في القلب وعسرا في التنفس •

ألم يحدث لك أن فوجئت بوجود نسوة كثيرات مهملات ، يخرجن على هذه الصورة ، دون أن يفطن

الرحمة ، ولان أي شيء لابد فيه من القوتين : العاقلة والشاعرة ، والا آل ناقصا شائها ، بل ان أحدهما ينتهي الى الآخر مهما تباعد ما بينهما وتنافر ، لان في المعقول كثيرا من المحسوس ، كما ان في المحسوس كثيرا من المعقول • اني اذ أهب لنصرة غريق ، وأندفع لاخماد حريق ، أو أعطف على بائس أو مريض يائس ، فليس هو شعوري وحده الحافز ، وانما هو تفكيري أيضا ، اذ بينا أنا أشعر بواجب المأوية والتضحية ، أراني أروىء أيضا بهذا الذي أصدر عنه ، ثم أرى شعوري نفسه ينتجه لتجاربي وتفكيري في الماضي ، كما ان أحكامي العقلية تحكمها عواطفي القلبية عن قرب أو بعد •

وما أشبهنا في تفكيرنا وشعورنا ، سواء فيما خصنا أو لم يخصنا ، بمن يغشى دارا ذات بابين اثنين ، فمن أيهما درج وولج فهو مفض الى الدار نفسها • ولقد يكون أحدهما غير الآخر تخالفا في المكان والبناء ، الا أنهما على سواء في المساق والانتهاء • وكذا العقل والقلب ، انهما بابان الى رحاب النفس ، لا يتخالفان الا ليتفقا ، ولا يتباعدان الا ليتقاربا ، لان المطاف في كليهما الى حدود بعينها • واذا ما ملك أحدهما الفلج والسيطرة على الآخر ، فذاك لانه تند صاحبه الاقوى والاظهر لا أكثر •

أجل لابد من العقل والقلب نصطنعهما معا في معارك وجودنا على ما يحكي معارك القتال في الحروب تتعاون فيها القوى على جمعة من انفرادها لاحتياز الفوز والنصر •

فكن مفكرا شاعرا ، وشاعرا مفكرا ، على سواء لانك بالفكر وحده تحيا في مثل القفر ، وبالشعور خالصا تحيا في مثل الروض ، أما بالاثنين معا فأنت تحيا الحياة نفسها بسعادتها من ظلمتها واشراقها ، وتلك هي الحكمة • ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا •

« وجيه بيضون »

أحد الى وجودهن ؟ ان الحياة المحيطة بهن ليست لهن ، والواجهات في المخازن لا تتألق من أجلهن ، وليس ثمة من يقف في انتظارهن ، ورغم ذلك ، فهن يحيين ، كأنهن على هامش سائر الاحداث ، كأنهن الظلال ، مع هذا ، فكل ما يجرى يعنيهن على قدر ما يعني من يعبون الحياة بملء رئاتهن ، وان كان وراءهن عبء رازح وآلام مبرحة دخلت عالم الكتمان ، حياة بأسرها أفسدت وطويت .

ـ ها هي عجوز الطابق الارضي ماضية لشأنها ـ هذا ما يقولونه وهم يشيرون الي .

بيد أن البوابة لحظت ذات يوم تاريخ ولادتي ، فهتفت مذهولة :

ـ أنت في واقع الامر ، في ريعان الشباب ! الا ان شعرك الابيض هو الذي يجعلك بهذا المظهر .

ـ بل وأشياء أخرى أيضا ياسيدتي . ولكني لست فتية . أجدني أحيانا أني بلغت من العمر ألف عام .

فراحت تضحك وهي تحدق الي بنظر حائر وكئيب ، كأنما هي ترثي الي . ولكن علام هذا الرثاء ؟ فحياتي ما كانت دائما كما هي الآن ، بل كانت فيما مضى جميلة كل الجمال . كنت وزوجي في وفرة من العيش ، وحين حظينا بولد تذوقنا الرغد والسعادة .

ومجمل القول ، ان قصتي هذه ، لا تتميز بما هو غريب عن المألوف ، أليس كذلك ؟ ان آلاف الناس يعرفون مثل هذه الامور . وأكاد أخشى أن تخرج بفكرة عن حكاية مغرقة في السخف والتفاهة . فرجائي اليك أن تتذرع بالصبر دقيقة أخرى .

لقد وقعت الحرب ، وهذا الامر أيضا ، ليس فيه ما هو خارق . فنحن جميعا عشنا هذه الحقبة ، حتى بتنا جميعا نعلم حق العلم كيف تقضت . ولكن ألا تجد من القصور المطلق أن نقول : « الحرب » بكل سذاجة ؟ مع ان هذه الكلمة البسيطة أبعد عن أن تعبر عن كل ما تنطوي عليه من فظاظة . فما هي بالتعبير الصحيح ، كما يبدو لي . انها أعذب كثيرا مما هي عليه . كان من حق هذه الكلمة أن تئز وتقعقع وتؤذي وتنشر رائحة البارود والدم المحروق ... وهذا أيضا ليس بما يذكر الى جانب الحقيقة .

لقد دخل زوجي معترك القتال في هذه الحرب . فاقتيد وهو أعزل ، وحكم عليه بالموت لنشاطه المعادي ، وبقيت وحيدة مع الصغير .

لابد لك من ادراك أمرين اثنين : فظاعة « الحرب » وفداحة هذه الكلمة التي تجرد كل عمل انساني من معناه ، اذا ما أقبل الموت وتربع على مائدة الاحياء نفسها والى جانبه فتنة طفل وحنانه ، وهو في سباته يضم قبضتيه الصغيرتين كأنه يشتهي أن يمسك بأذيال حلم ، لا مجال لامساكه .

من الحق عليك أن تصف بعناية ، اليك على سبيل المثال مشهدا كهذا : الشمس تسطع على ممر في الحديقة هناك ولد يعدو سريعا ، انه يصفر محاكيا بذراعه الصغيرة حركة مكبس . من يصدق انها مسألة ممر في حديقة ، تحفر فيه خنادق مضادة للطائرات ، ويشاهد فيه اناس مكدودون وأنظارهم الى الارض ؟ هراء ! بل هو قطار يندفع على قضبانه ، انها مغامرة عجيبة ، والعالم جميل ما دام في الامكان تبديله بعد الآن بطرفة عين واحدة .

ويختلف الامر تماما حين يمسك بجواده المضروب عنقه ! عندئذ ، تدب الحياة ، على الفور ، في قطعة الخشب ، ويمتطي الغلام صهوته ويطوف يمنة ويسرة ، ملوحا برأسه الاشعر الشبيه بالخشخاش الاشعث ويأبى في حزم أن يبدي لينا ، انه قوي الشكيمة ، انه فارس مغوار ، يضرب في البطاح والدروب ، متخطيا الحواجز والسدود . وانه لعدو لا نهاية له . ولكن ها هو عصفور دوري ، خلف احدى النوافذ ، يستوقفه ... فيكبو الجواد ويغدو شيئا تافها ، لا جدوى فيه ، هامدا ، ميتا ، لا حراك فيه . وهنالك على النافذة ينطلق الدوري مغردا ! واذا بالصغير يلتصق بالزجاج ويتساءل في دهش : « لماذا لم ينتظرني ؟ علام بصبص بذيله ؟ وماذا يقول الدوري ما دام لا يعرف النطق ؟ »

وبعد ذلك بقليل ، القنبلة الملونة ، انها أبعد فتنة من الدوري ، ولا شيء يعادل فتنتها وهي ترتفع عاليا جدا حتى تبلغ عنان السماء ، لتعاود بعدئذ هبوطها وتضج بصورة غريبة جدا « بم » على مقربة شديدة منك •

(وفي هذه الاثناء يمر الكبار أمام لوحات ترمز الى الحرب والآلام والموت •)

والاصبع الصغيرة المكتنزة مستقرة على كتاب ، تنساب على طول الصفحات المطبوعة ، تتعثر بالصور التي في منتهى الجمال : اناس في سيارات ، حوذي يمسك سوطه ، قارب بخاري يمخر نهرا ••• والاصبع المكتنزة لم تعد هي نفسها ، بل منظفا صغيرا للمداخن يتسلق سلمه ، واحد ، اثنان ، واحد ، اثنان •

ـ ماما ، أين يبيت المنظف ؟ ومنذا يطفىء النجوم الصغيرة ؟ هل الشمس أكبر حجما من صحني الصغير ؟

كل الاولاد على جانب من السحر والفتنة • وانهم اذ يرقدون يغدون أوفر فتنة وسحرا • انهم يغوصون في أحلامهم كما يغوصون في الاوسدة • وحين تشرع نواظرهم المكدودة في الاطباق ، تطفو بسمة شاردة حائمة على شفاههم ، واذا بالجواد المضروب عنقه ، والقنبلة والدوري يتوافدون ليقبعوا على جانب السرير ويثابرون على العيش ، لان جمال هذا الكون لا يفيض أبدا •

لم أنا آخذة في سرد هذا كله على هذه الصورة المسهبة ؟ لانني أبصرت ولدي يمضي الى الموت • كان يمضي ونظره الطفلي مدهوش • كان يمضي مأخوذا بما حوله ، ممسكا بيد الآخرين • والكل سائرون كما لو كانوا في موكب ، كانوا يقصدون الى الموت ، كانوا صغارا جدا ، بريئين جدا ، لا حول لهم ولا طول •

وابني الصغير ! لا ، لن أذرف الدمع ، فلا تخف ! بيد أن صوتي وحده ، هو الذي يرتعش • فالحسرات والعبرات خلفتها ورائي منذ عهد بعيد ، ولم يبق في سوى الاشمئزاز • الا ان الاشمئزاز لا يدعو الى البكاء •

واليك أيضا ما يجب أن تدونه في تقدير دقيق جدا •

انها لوحة عارية ومفجعة • طريق قاحل يمتد على طول السكة الحديدية ، تغشاه الاوحال الجافة ، وأقدام صبية صغار تعج فيه والسماء فوق رؤوسهم عكرة ، وما من نأمة أو حركة فيما حولهم • انها لوحة مقيتة جدا ، حتى الريح فقد عراها وجوم وكأن الاشجار قدت من رخام ، ولولا جذورها المتمكنة في باطن الارض ، لانتبذت مكانا قصيا ، فرارا من هذا الهول •• البقعة بأسرها يصعقها الصمت ، انها فريسة ذعر اسطوري ، منع عليها التنفس • ما من حركة سوى هذا الخط الطويل ، هؤلاء الصبية الذين ما شهدوا الا الكثير من كل رهيب ، مريع • انهم يتقدمون دونما صيحة ، لانهم يجهلون ما يحل بهم • انهم سائرون في صفوف كأنهم عائدون من المدرسة ، يمسك بعضهم بأيدي الآخرين في وداعة • وأولئك القائمون على حراستهم يطقطقون بجزماتهم المجهزة بالحديد • أجل اكتب هذا بأبلغ ما تستطيع وقل : ان هؤلاء الصغار يمضون الى الموت •

لقد أبصرتهم اذ كنت أنا والاخريات من النساء ، ننقل في شاحنات مشبكة بالقضبان الحديدية ، في سفرة طويلة ، لا آخر لها ، في اتجاه مقر الموت ، وهم يسمونه المقر المقصود • وكانت سفرة مروعة ، عانينا فيها مرارة الظمأ وكابدنا غصص الجوع ـ وقد مات منا الكثيرات حقا ـ ان أن شر الآلام ما كان يساورنا لانتزاع أولادنا منا • وهذا القلق هو أشد الاهوال فظاعة : ما مصير أولادنا ؟ أيختطفونهم ؟ أيحشرونهم في مياتم ولا يتورعون عن انزال أشد ضروب التنكيل بهم ؟ كان هذا مضنيا ، الا ان وراء هذا كله يكمن شيء من السكينة المبهمة : ففي مقدور المرء أن يصبر على كل مكروه ، على أن يتحقق الامر الاساسي وهو أن يظل الصغار على قيد الحياة • أما ما ينتظرنا نحن ، فلا أهمية له البتة ••

اذا ، كان هذا الصف الطويل من الاولاد ، يمر قرب السكة الحديدية ، كان يمتد صامتا الى حيث توقفت قافلة من السيارات ، منذ مدة طويلة جدا • وكان بكل

روية ووداعة ودونما صخب ، يسلك الطريق المؤدي الى مداخن ، يتصاعد منها الدخان •

وكنا نحن نسحق بعضنا متدافعات ، خلف الكوة المجهزة بالقضبان الحديدية ، حين اكتشفت هؤلاء الصبية • ماذا أقول ؟ حين أبصرت ولدي ، فرحت صارخة : بني ! وفي آخر ومضة من ومضات الوجدان ، لمحته يلتفت كأنه سمع ندائي • وفي هذه اللحظة نفسها دفعتني النساء الاخريات الى الخلف • فهن أيضا يبغين أن يرين • كنا جميعا فريسة جنون حقيقي • لقد كنت طريحة على أرض الشاحنة ، وهن يدسنني بأقدامهن • لم أعد أعي شيئا • الا انني علمت بعدئذ ان جئيرا قد انبعث من الشاحنات ، بلغ من شدة هوله حدا ، كان سببا لاصدار الامر على الفور ، بمتابعة سير القطار • كان عويل الامهات يطغى في سيل دافق طام ، حتى كلت الشتائم والضربات والطلقات النارية عن اخماده •

وانتهى الامر بالنسوة أخيرا الى التخفيف من حدتهن ـ لان الشيء الوحيد الذي لا يقف عند حد ، انما هو الامل ـ وقد أقنع بعضهن بعضا ان هؤلاء ليسوا دون شك ، أولادنا • أما أنا فقد قلن لي ، انني ما توصلت الى تبين ولدي ، ولهذا السبب البسيط ، فهو لم يكن هناك • ان أمثال هذه المصادفات لا تحدث • فما كانوا أبناءنا ولا يمكن أن يكونوا اياهم ، اذ لو كانوا هم حقا لعاملوهم خيرا من هذه المعاملة • قد يحشرونهم في مياتم ، الا انهم يدعونهم أحياء •

ـ كلا ، كلا ، ليس هؤلاء أبناءنا ـ هكذا رددت النسوة ـ فما هؤلاء الا أجانب حقا •

ولكن كيف نقول : « أجانب ؟ » أما تفجرت قلوبنا لرؤيتهم ؟••

وعلى هذه الصورة مضى ولدي في مثل هذا الموكب •• بني الصغير الوردي ، بسمتي الحبيبة ، هو الذي كان قلقا لمعرفة مبيت النجوم ، وان لم يكن هو ، فقد كان غيره • والموت كان موتا واحدا للجميع ، موت أولاد سبقوا زرافات ، أولاد ، كانت ابهام قدمهم تصيح من خلال الجورب الممزق : « كوكو ! » ، أولاد يمسحون أنفهم الدقيق بباطن يدهم ، أولاد ، ذوي شعر ناعم ، رخص كأعشاش الدوري • هل من كلام ، أهل للتعبير عن هذه الوحشية كلها ، أفي مقدور انسان ، أن يدون حقا ما خالج الامهات من مشاعر وأحاسيس في هذه اللحظة ؟

ان شر ما على البسيطة في نظري ، انني ما زلت أعيش عقب هذا ، انني ما فارقت الحياة ، رغم ان قلبي قد توقف منذ أمد بعيد جدا • ولعل الموت خجل من النظر الي وجها لوجه • لقد بقيت اذا على قيد الحياة ونجوت من هذا كله ، الا ان بني الصغير لم يعد الي •

ان مأساتي كلها : انني أبصرت ولدي يمضي الى الموت •

ذلك هو قدر الحرب • ففي الحرب ، حتى الاطفال أنفسهم ، يخوضون غمار القتال ، كما قال قائل • بيد ان هذا الزعم باطل ، فالاطفال لا يخوضون غمار القتال ، بل يكتفون بتحمل صنوف الآلام والعذاب • والحق ، ان عدد المقاتلين في الحرب ضئيل ، ولكن عدد الضحايا جسيم جدا ، والآلام لا تقف عند حد •

علام رويت لك هذا كله ؟ علام سألتك تدوين هذه الحكاية المروعة ، على حين ، ان الناس يؤثرون ، دون ريب ، مطالعة قصة مرحة ، مريحة ، تصور الحب والامور الجميلة ؟

ما ذلك الا لان ثمة حديثا عن حرب جديدة •

لا مشاح ان الحرب لم يعد في وسعها أن تجد ما تقضي عليه في صحرائي وما تفنيه في فراغي • الا ان هنالك نسوة لا يزال أطفالهن يحيون ويستيقظون وعلى ثغورهم بسمة ولدي ، ينامون من فرط التعب شأن ولدي وينعمون بألعاب كألعابه ونسائم الرؤى نفسها تنساب لترطب جباههم •

فمن أجل هذه الامور كلها ، اكتب أنت ، اكتب اني ساهرة ومن الحق عليهن أن يبقين أيضا يقظات

ساهرات ، واني اذ تروج اشاعات الحرب واذ تشحذ الاسلحة فأنا لا أفكر الا في الاولاد الصرعى ومن الحق عليهن أيضا أن يفكرن فيهم • ولئن حدث ووجدت نفسى في الحديقة ، فأنا لا أشاهد فيها الاولاد المنصرفين الى لعبهم ، بل أولئك الذين ما أمهلتهم الحياة الى ما بعد الحرب ، بل نظرات المحكوم عليهم بالموت وهم في منتهى الدهشة ، يتساءلون وهم على أعتاب الآخرة ، اذا ما كانت الشمس لا تقل سعة عن صحنهم الصغير •

اني أصيخ باهتمام الى ما يجهر به الاقوياء عن الحرب ، أنا ، الام ، البالغة من العمر ألف عام ، المثقوب فؤادها بألف سهم من الآلام • فليس من يستطيع الاقدام على احصاء عدد أخرجه أبنائي كلهم ، لان جميع أولئك القتلى كانوا أبنائي ، وما من أحد يقدر أن يرد على واحدا من سائر هؤلاء الذين كانوا يفزعون الي بأيديهم المكتنزة الحرب ؟ أين خطوات من مضوا الى الموت من الاولاد تضج على رؤوس الاشهاد :

يجب ألا تقع حرب !

فأنا أدعى ماري ، وأدعى كاتيا وأدعى عائشة وأدعى بنيلوب • لي ألف اسم ، وأنا الام الابدية للكون بأسره •

انهم يتحدثون عن الحرب واني لاسمع خطبهم •
اني أسمع تغريد الاطفال وعويل من صرع منهم •
وها أنا أرفع ذراعي وأباعد ما بينهما ، أنظروا الي اني أرفع ذراعي وأمدهما لاوقف تيار هذه الفظاعة •

فوالله لاوقفنها ، وان وجب الامر ، لاشدن ، بيدي المعمرتين ، اللتين لن تداعبا البتة ولدا ، لاشدن بهما على خناق من يجرؤون ويتحدثون عن الحرب •

قريبا :

غرباء حين نلتقي

مجموعة قصصية

للأديب

فايز خانكان



لسليمان عواد



- ١١ -

فوق صدري المطعون تتكدس ثلوج العالم ، وفي قلبي الممزق بركان يقذف اللهب .. والناس من حولي ، وفي قلبي يعيشون في جحيم البؤس والعذاب ... وتهب في كياني عواصف الرأفة بالانسان ، فلا أشعر الا بسكين حادة ، حادة ، تعمل في تقطيع أعصابي الموجعة وتقدمها حزما دامية الى البائسين ، وويل للشاعر الحر اذا غفل عن اهراق دمه ، بغية انتشال البشر من الجحيم . هناك الجلاد القاسي ، العملاق الذي لا يرحم ، هناك الضمير .. الضمير الذي يقوض دعائم الاحرار ... آه أيتها النجوم الفتية تشع بين سجوف الظلام ، والتي تعتصرها آلام التمرد .. وآه ، للبشر الذين يغطون في سباتهم ، وشمس الصباح تسطع كوجه الحرية ...

- ١٢ -

مالك يا بلبل ثائرا .. لقد أرادوا ، لك الصمت ، وأحاطوك بسياج من فولاذ .. لكنك سخرت من ارادتهم وخرقت ذلك السياج !!..

هم يطلبون منك ويلحفون ، أن تغني كما يشتهون كما تشتهي قلوبهم الصخرية واحساساتهم البليدة ... ولقد حاولوا ألوف المرات أن يعتصروا حنجرتك ، أن يعكروا نبع غنائك العذب ، ليلبسوك شخصية عنك غريبة ... لكن هؤلاء الصعاليك جهلوا أن الغناء شيء من كيانك ، بل كل كيانك ، وانه هيمنات روحك في أروع سكراتها ...

هم يجهلون أن غناءك يا بلبل يحاكي أريج الزهور ويشابه طيران الفراشة وخفق أجنحة النحلة ...

تعال ، يا بلبل ، تعال ... يا قلبي الخفاق في صقيع هذا العالم ...

- ١٣ -

أنا مثلك أيتها النار ، أذيب رغباتي في أعماق أضلعي ، وأتعالى ، شامخا بجبهتي حتى أطاول السماء .. شعلة أنا ... أتوهج ، عاكسا كل مرامي الوجود في بحر ضميري ، فأرادني الزمن أن أكون كما يريد .. فصفعت الزمن ، لانني لا أريد كما يهوى ، بل كما يرضاه ضميري ...

... أنا أغرودة البراكين وألحان العاصفة ... سأحرق بشواظي أكداس الحشرات وجحافل الديدان .. أنا سطوع الضحى ، وحولي عيون كليالي الفاجرين ، وضمائر كالمقابر ، وقلوب كمناجم الفحامين ...

في قلبي رماد .. وفي قلب هذا الرماد ، جمرة مقدسة لا تنطفىء مدى الحياة !!..

— ١٤ —

أيها الغول الراقص على قبور الضحايا •• أيها الوحش الذي لا يلعق الدماء ، الا في محاجر الشهداء وجماجم الموتى •• آه •• أيها القرن العشرون يا مقبرة الضمائر والنفوس ، وجحيم الانفة والكرامات !!••

أعيش في بركان ، وكأني في كل دقيقة ، أخلق بركانا دونه بركان ••• وأشمخ بثورتي الصاخبة حتى أخترق السموات السبع !!••

أريد أن أعيش انسانا ••• انسانا يتحدى الآفاق بجبهته الصارخة المشرعة في وجه الغيوم والقدر •• لا مجرد آلة صماء •• لا مجرد لقمة وسخة ، وخطوات سوداء ، تنزف ألف معنى من الذل واحتضار النفوس ••

أريد •• ولكن الحشرات لا تريد ••• سأسحق بعنف أبالسة الاطماع ••• هؤلاء الذين لا يتورعون عن بيع نفوسهم اللعينة في سبيل اقتناص بريق لمظهر خداع •• هؤلاء ، أشباه البشر ، عناصر الشر ، أصنام الفساد ، رعاة القطعان الضالة •• المضللة •••

ولكنها نفسي •• نفسي الثائرة ، نفس الشيطان ، التي لا تطيب لها الحياة ، الا ، في أعماق الاعاصير ، فتعارك زمجرات الريح وثورة العاصفة •••

— ١٥ —

أيها الناس •• يا أشباه الناس ، يا مهزلة الوجود وسخرية القدر •• يا من جعلتم من ضمائركم الملطخة •• نعالا •• تلبسونها في سبيل الوصول الى غاياتكم الدنيئة •• يا من قبرتم صفات الانسان المثلى في بؤر الوحول والعفن للتربع على عتبة مركز زائف ومجد حقير •••

أيها الناس •• يا أشباه الناس ، يا من تجرجرون أذيال دناءتكم الكبرى ، وقد تطرزت بألسنة الافاعي ومكر الثعالب •• انكم لتستحقون الحرق وأنتم أحياء ••

كم من مرة نظرتم شذرا الى ذلك الشاعر الثائر ، الشاعر الذي داس تقاليدكم الخرقاء وهدم بمعوله الكافر أصنامكم الجوفاء ، حيث تتمرغون رعاعا تحت قواعدها الموغلة في اللؤم والبربرية •••

أيها الناس •• يا أشباه الناس ، يا من أغلقتم أبواب قلوبكم المهترئة ، تجاه آلام المعذبين ، أولئك الذين يطويهم الموت ساعة •• ثم يعود نادما ، ليبذرهم حانقا في الارض الجاحدة ، لوعة وأسى ، ووصمات عار ، في جبين حضارتكم الكاذبة •••

— ١٦ —

كن وحشا أيها الانسان •• كن وحشا مفترسا هائجا من وحوش الادغال ، فالحياة في عصرنا المهووس لا تستكين ، الا ، للوحوش المتنمرة ••• انزع نحو التحطيم ••• تحطيم كل ما يعترض سير انطلاقك المبدع •••

وان لم تستطع اخماد براكينك الثائرة ، فحطم حينذاك نفسك •• حطمها ، حطمها •• وارقص جريحا منتصرا ، على ارادة القدر ، وعلى حقارة العرف البشري المهلهل •••

كن وحشا أيها الانسان •• افترس أحكام الذل ، مزق أغلال العبودية •••

كن قويا عاصفا •• كن سيد الشرائع ، لا عبدا ذليلا لها •••

كن متشككا بكل شيء في الوجود ، لان الشك مفتاح المعرفة ، مفتاح اليقين •••

انزع الطيبة من قلبك ، انزعها •• انزعها ، لئلا يستغل الاشرار نبل طويتك ، فتروح مطية مغفلة لمآربهم الشخصية ، فالكون أضحى بؤرة عفنة للجراثيم المؤذية والجيف النتنة •••

كن وحشا من وحوش الادغال ، والا ، افترستك الذئاب والثعالب والغربان •• وامتصت دماءك أسراب الديدان والحشرات البشرية •••

سليمان عواد



« اللوحة الاولى »

(يترجل عمر بن أبي ربيعة ، ويربط فرسه في فناء دار الثريا بنت عبد الله في الطائف •• يبدو عليه القلق والاضطراب) ••

عمر : واحسرتاه •• ما حلاوة الدنيا بعد الثريا ؟
كم أتمنى أن يكون الركبان كاذبين •• ولكن لا أسمع الصراخ في قصرها ••
كل شيء تغلفه السكينة •

(تبرز من داخل الدار رضية وأم عثمان ، أختا الثريا)

رضية : مرحى لك يا ابن أبي ربيعة •

أم عثمان : أهلا بشاعر قريش ،

عمر : وهل يخفى القمر ؟

أم عثمان : متى تكف عن الاعجاب بنفسك •• لماذا لا تتبع نصيحة صديقك ابن أبي عتيق الذي ندد بغزلك في نفسك ؟•• يجب أن تكون متواضعا يا عمر ، وتعطي المرأة عندما تتغزل بها أكثر ما تعطي جمالك وشبابك •

رضية : أنت واهمة يا أخت ، فحق لعمر أن يزهو بنفسه •• فحسبه أنه شاعر قريش الذي حرمت الشاعر حتى اذا نبع بها عمر تاهت على جميع العرب •
أذهلتماني عن نفسي ، فلقد تجشمت عناء السفر لأرى الثريا •

أم عثمان : وماذا تبغي منها ؟••

عمر : سلي العصفور لما يشدو ، والشمس لما تشرق ؟

راضية : ألا تعلمين أن الثريا صاحبة عمر ؟••

عمر : بل هي الخفقة في قلبي ، والنور في عيني ، واليقين في عقلي •

رضية : أنت يا عمر شاعر العذارى ، وأنشودة الصحراء التي تغفو على هدهدة أغاريدك •• وأنت منية كل عذراء ••
عمر أخبريني يا رضية •• هل الثريا مريضة ؟

رضية : يا أبا الخطاب ان العافية تترقرق في بدنها ، وتجعلها شعلة موارة من الحيوية والجمال •

عمر : وافرحتاه •

أم عثمان : هيا بنا لنلج الدار اليها •

عمر : (يتمتم) : لم تر العين للثريا شبيها
بمسيل التلاع يوم التقينا

الثريا (تخف لاستقبال عمر ، وتفتح ذراعيها لتعانقه)

عمر : يا أنشودة شعري الداوية ••

الثريا : ما الذي جاء بك الينا ؟••

عمر : اعتدت أن أخرج كل صبيحة ندية ممتطيا جوادي الى طريق الطائف حيث تصطافين لانشق الانسام المعطرة بأنفاسك ، ولاسأل الركبان عنك ، وفي هذه البكرة المطلولة سألت الركبان أخبار الطائف فقالوا : ما استطرفنا شيئا سوى أننا سمعنا صياحا وعويلا على امرأة من قريش •• اسمها اسم نجم في السماء ، فصحت : ويلكم انها الثريا •• وركضت فرسي ملء فروجه ، تتقاذفني الالام ، والحمد لله على أن الخبر الذي نقل الي عار من الصحة •

الثريا (ضاحكة) : أنا التي أمرت الركبان أن يقولوا هذا لأبلو حبك لنا •

عمر : أنت •• ان كيدكن عظيم •

أم عثمان : أوكنت تبغي أن ترى الثريا فريسة الدنف ؟••

عمر : معاذ الله ••

رضية : ان عمر مدله بالثريا •

عمر : صدقت يا رضية •

الثريا : يا عمر انني حساسة •• واذا تسللت الي الغيرة أهلكتني ، فأنا أريدك أن تكون بكليتك لي • عاهدني على الاخلاص في الهوى •• وأرجو ألا تتغزل بغيري بعد الآن •• ان الالام التي تمزقني عندما أسمع شعرك بغيري لا قبل لانسان بها •

رضية : من ير الثريا ، وينزع الى غيرها يكن به خبال •

عمر : (يفتر عن ثغره ابتسامة متهللة ، فتبدو ثنيتاه السوداوان) : أعاهدك يا ثريا أن أخفت كل صوت في فؤادي يحن لغيرك ، فأنت الامل الحلو الذي أستنيم الى هدهدته •

الثريا : ما هاتان الثنيتان السوداوان في مقدمة ثغرك الناصع ؟

عمر : انهن من فعلك •• وكل ما يفعل الحبيب حبيب ••

الثريا : وما علاقتي بهما ؟

عمر : أتذكرين يا ثريا يوم واعدتني على لقاءة ، ولما طلعت عليك باشراقتك كنت مع صديق لي ، فزويت ما بين عينيك، فقلت لك : هذا صديقي لا أخبي عنه شيئا ، فلطمتني بأناملك المزدانة بالخواتم ، فانكسرت ثنيتي ، فذهبت الى العراق لاعالجهما ، فاسودتا •• واني سعيد بهذا ، فقد أراقتا علي جمالا جديدا •

الثريا : أذكر هذا •• وأرجو أن تسامحني •

عمر : لو مزقت اهابي لكان أحلى على قلبي من العسل •

رضية : أرجو أن تحدثنا بحديث أخيك الحارث •

عمر : ذاع على ألسنة الناس •

رضية : أصبو لسماعه منك •

عمر : كنت على موعد مع الثريا ، ودخلت حجرتي وكان فيها أخي الحارث التقي الورع نائما ، فخالته أنا ، فارتمت عليه توسعه تقبيلا ، فاستيقظ ، وانتفض كالملسوع وصاح : لست بالفاسق •

أم عثمان : وماذا قلت له ؟

عمر : قلت له •• لا تجزع يا أخي •• ان نار جهنم لن تمسك لان الثريا قبلتك •

الثريا : الحارث يندد دوما بعمر •

عمر : سأذهب الى مكة • أستودعك الله يا ثريا •

« اللوحة الثانية »

(عمر بن أبي ربيعة مشرد اللفتات ، موزع الخاطر أمام دار الثريا في الطائف يتمشى ذهابا وايابا بقلق وعصبية) ••

عمر : (ينشد) : يا ثريا الفؤاد ردي السلاما

وصلينا ولا تبتي الزماما

(ابن أبي عتيق يخرج من دار الثريا وينفذ كالسهم المارق الى عمر •)

ابن أبي عتيق : لك البشرى يا عمر •

عمر : ماذا ؟•• هل رضيت الثريا ؟

ابن أبي عتيق : أجل ، ولكن بعد لأي •

عمر : وا فرحتاه •

ابن أبي عتيق : كانت حنقة الى أبعد حد ، وأصرت على عدم الصفح ، ولكنني أقنعتها أخيرا •

عمر : شكرا يا صديقي الذي يمحضني الود •

ابن أبي عتيق : ما حلاوة الدنيا اذا تم الصدع بين عمر والثريا •

عمر : وكيف استطعت أن تؤثر فيها حتى رضيت عني •

ابن أبي عتيق : قلت لها : هذا ابن عمك ، جاء معتذرا اليك عن ذنب لم يقترفه ، فدعينا من التعداد والترداد ، فلا معنى للحياة اذا لم يتم الصلح بين عمر والثريا • فأجابتني : انه وقح صنع يقول بلسانه ما لا يحس قلبه ، وما زلت بها شدا وجذبا حتى هدأت ، ورضيت واغتبطت • هيا بنا الآن اليها •

(وينفذان الى دار الثريا)

الثريا : جئت يا عمر •

عمر : عفوا ثريتي •

ابن أبي عتيق : دعينا من الملام والتعنيف ، وأرجو أن يكون هذا الصلح على أتمه •

الثريا : سامحك الله يا عمر على العذاب الذي أترعته لي .

عمر : أنا الذي تعذب .

الثريا : كيف خطر لك يا ابن أبي عتيق أن تسعى لصلحنا ؟..

ابن أبي عتيق : ولما آذى عمر هجرك ، وأضناه فراقك .. وقال :

من رسولي الى الثريا فاني
ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

خلت أنه يعنيني ، وقلت : الدنيا لا معنى لها اذ لم يتم الصلح بينهما ، وامتطيت راحلتي من المدينة مع عبيدي أغذ السير الى مكة حتى أتيت الى عمر ، وصحبته اليك .

الثريا : أنت نبيل يا ابن أبي عتيق .

عمر : هذا اليوم أجمل أيامي .

الثريا : ألم أقل لك يا عمر .. ان حبك يجب أن يقتصر علي وحدي ، فوعدتني ، ولكنك حنثت بوعدك ، وشببت برملة بنت خلف الخزاعية .

عمر : عذرا يا ثريتي .. والله كنت صادقا بوعدي ولكنني تغزلت بها رغما عني ، فأنا امرؤ لا أستطيع حبس عواطفي عندما أرى فتاة جميلة ، فيندفع الشعر مني .. ورملة جميلة ، وقد مجدتها بشعري ، وهذا لا يعني أنني أحبها ..

الثريا : تبا لك يا عمر .. هذه المتجهمة المفرطحة جميلة ..

ابن أبي عتيق : ما الفائدة من هذه المعاتبة ؟

الثريا : وعائشة بنت طلحة التي تتغنى فيها .. وهي لا تأبه لك ، ألم تقل لك أنك لم تعنها لحظة واحدة ولم تختلج أبدا في فكرها .

ابن أبي عتيق : عائشة بلا قلب .. ولو أنصفت لاستجابت لنداء شاعر الحب .

الثريا : انك تدميني يا ابن أبي عتيق بهذه الكلمات

ابن أبي عتيق : عذرا . أنا مغرم بعمر ، وشعر عمر .

عمر : أنت الوحيدة يا ثريا التي عاشت في أعماقي واتجهت اليها عواطفي .

الثريا : حبذا لو صدقت .

عمر : اني صادق .. وسأكبح جماح قلبي ليظل لك وحدك يا منيتي .

ابن أبي عتيق : سأذهب الى المدينة .. وكلي حبور لهذا الصلح السعيد .

« اللوحة الثالثة »

(الليل يتكيء وديعا ساجيا على البادية التي تتراقص فيها النجوم ، والبدر يسلسل ضوءه المخملي على الرمال الوعثاء .. السكينة تامة في خيام سهيل بن عبد العزيز زوج الثريا) ..

الثريا (لجاريتها) : وعيش أخي ان نفسي تحدثني بأن هذه خيام عمر .

الجارية : وأية خيام يا سيدتي .

الثريا : المضارب التي على مقربة منا .

الجارية : قد يكون هذا صحيحا .

الثريا : أرجو أن تذهبي اليها وتستقصي الخبر .

(تخف الجارية لتستطلع الامر)

الجارية (لاهثة) : مولاتي .. انه عمر .

الثريا : وحرمة أبي جذبه الشوق الينا .

(وتتجه نحو مضاربه)

عمر : الثريا ..

الثريا : عمر ..

عمر : تزوجت يا ثريا .

الثريا : تقتلني بلهجتك يا عمر .

عمر : وآثرت سهيل بن عبد العزيز على عمر .

الثريا : الدنيا كلها لا تعدل عمر .

عمر : ومع هذا تزوجت ..

الثريا : وما حيلتي .. وأنت امرؤ متردد ، وقد طالت غيبتك في اليمن عند أخوالك حتى خيل الي أنك لن تعود أبدا الى الحجاز .

عمر : يا ظالمة .. ألم أكتب اليك بأنني سأعود عما قريب .

الثريا (ناشجة) : **حرام عليك يا أبا الخطاب أن** تقسو علي .

عمر : كيف لا أقسو عليك وقد مزقت قلبي .

الثريا (باكية) : سامحني يا عمر .

عمر : كيف أسامحك وقد انهارت جميع آمالي ؟

الثريا : أنا بائسة شقية يا عمر ..

عمر : كلا .. أنت سعيدة بزواجك .

الثريا : لو انصعت لعواطفي لما تزوجت غيرك .

عمر : ولماذا تمردت عليها ؟

الثريا : ألم أقل لك انني يئست من عودتك ..

عمر : هذا عذر مردود عليك ..

الثريا : انها الحقيقة يا أغلى انسان على قلبي .

عمر : انك تتلمسين الاعذار الواهية لتبرري قسوتك ..

عمر : ما جدوى الكلام الآن ..

الثريا : أقسم لك بالله لو أنني وثقت من حبك لي لانتظرت الى آخر الدهر .

عمر : معنى هذا انك لم تثقي بي ..

الثريا : هذا صحيح .. لانني عهدتك متقلب الاهواء ذا صبوة لكل محيا جميل .

عمر : وخشيت أن يفوتك الركب ، فسارعت **الى الزواج ..**

الثريا : أرجوك يا عمر أن ترحمني ..

عمر : لقد دست بقدمك على حبي مدفوعة ببريق زوجك ومجد أسرته ..

الثريا : لا تقل هذا يا عمر .

عمر : المرأة لا ترعى للعهد حرمة .

الثريا : ليتني لم أولد .

عمر : سحقا لزوجك .. سأجعله لعنة الاجيال بشعري ، سيكون تجديفا لكل انسان لاعه الهوى على كر العصور .

الثريا : أرجو أن تسامحني يا عمر .. انني أستحق شفقتك ، ولن أرتاح في عيشي الا اذا بدرت منك اشارة تدلني على عفوك عني .. أستجدي المرحمة منك ، وثق انني جديرة بها .

عمر : الآن قد أقفر الحجاز من أينع زهراته .. فبعدك يا ثريا ستجف هذه الرقة التي كانت تتمشى في اهابه .

الثريا (تبكي) : الرحمة يا عمر .. الالم يطحنني لانني أسأت اليك .

عمر : في قلبي فراغ لا يسد .

الثريا : يا مهوى فؤادي .. رفقا بالنعجة التي تساق **الى الذبح** .

عمر : الجرح عميق الجذور في نفسي .

الثريا (يشتد بكاؤها) : افعل بي ما تشاء يا عمر .

عمر (يرق فجأة) .. كلا .. لن أسيء اليك .. اذهبي الآن الى زوجك ، وسافري معه الى مصر ، وعبي من ماء النيل الفرات .. سافري مصحوبة بالسلامة .. وتذكري عمر الذي جعلك بشعره أنشودة الحب والجمال في كل زمان ومكان .

(ويمتطي عمر مطيته ، ويتبعه عبيده ، ويلقي نظرة أخيرة على الثريا التي وقفت تمتصها الحسرة .. وتشيعه بنظرة دامعة)

عمر (لنفسه) : الثريا ، عائشة ، سكينة ، فاطمة ، رملة ، زينب ، أسماء ، هند ، نعم .. كلهن ذهبن وتزوجن ، وخلفن قلبي يابسا يبابا .. الآن طابت العزلة وبي شوق الى الله .. سأترك اللهو والغزل .. وليسعدهن الله جميعا .

(تدمع عيناه ويهمهم) :

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استهلت
وسهيل اذا استهل يماني

(ستار)

محمد حاج حسنين

مصدر المسرحية .. الاغاني . الجزء الاول

الخصب وانهزام الرمال !

شعر: زهدي خليل

« من ذكريات السنين المحلة في حوران »

عاما سقيت من الدماء ، تلاه في الترحال عام
وأنا غريق الملح أبحث عن ضياء في الظلام
عن مطلع الامواه عن حوت رهيب لا ينام
حوت رهيب يمنع الامطار يقتات الغمام
لكنه يهوى السمر
يشتاق أن يبقى القمر
يلقي عليه النور يمنحه الصور
في ليل كانون الذي يعطي البشر ،
ودروب قريتنا ، الحياة .
والحوت يمتص البروق ، يكم أفواه الرعود .

★ ★ ★

وأنا غريق في الظلام
أشتم ريح الموت يقهرني المحال
من أجل أن يطوى القمر
بسحائب الامطار والغيم الكثيف
أمضي يفجر ثورتي حقد عنيف
بحثا عن الاضواء أسكب ظلمتي ،
في أعين الحوت المخيف
وأصب في الشدقين أحقاد الجياع
لأعود أحلم بالرغيف
بالقمح والازهار ، والخصب والوريف

★ ★ ★

عاما حرقت ولم أزل .
أشوي على الرمضاء عام
والرمح يأكل معصمي المحروق ينخر في العظام
لكنما الترحال .. قد أعيا التلهف للضياء
عبثا أجوب مطارح الاخطار ، يا عقم الرجاء
ما الحوت غير خرافة الاشواق يرهبها العدم
فتجوب يم الغيب من ذل السأم
فلربما .. آبت يطهرها الندم
أو .. ربما غلت بأصفاد الالم .

★★★

لم يجدني الترحال ، يا فشلي !!
رجعت الى التراب ...
حيث الذين أحبهم ورفاق مذبحة اليباب
فرأيت في الاحداق ملحمة العذاب ،
ثلما بعمق الرمس يزرعه السراب
ومدى عديم اللون منغلق الرحاب
وعلمت أن العقم روي بالدموع وبالأنين
مقل كأنهار الحنين
نضبت لاملاء العيون (١)*
من أجل اخصاب الحقول الشاحبة
منحوا لرب الخير حبات القلوب
للغيث قربانا لحبات المطر

★ ★ ★

ومنابت الاطفال ربات الحجال
سحرا يذوب كما الشموع
في هيكل الرب الملفع بالظلال
ومضوا اليه يتمتمون ويصرخون :
« جئناك ، يا كانون . يا رب العطاء
« أعمارنا عطش اليك
« جئنا نكحل مقلتيك
« برماد أهداب الصغار الابرياء »

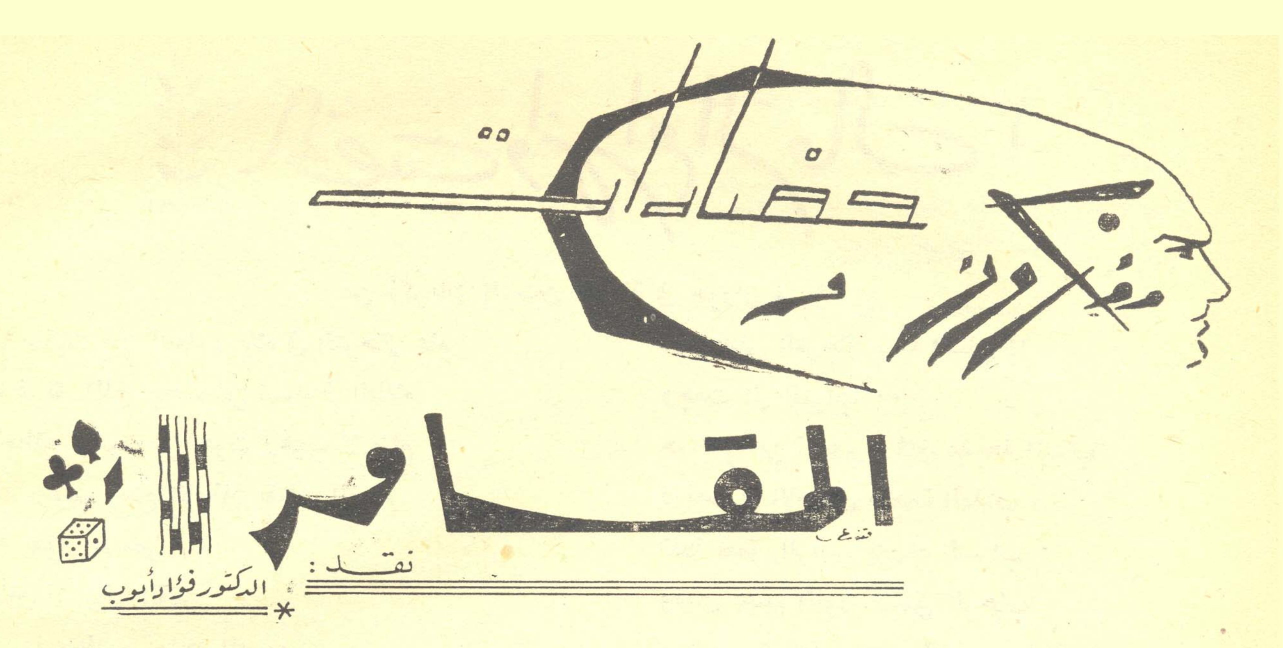
★ ★ ★

ونسيت في جنبي آلام الفشل
من رحلة الاوهام والحوت البعيد
وغرقت ما بين القبور المخصبة
وردا تفتح في الصدور
أشتم طيب أحبتي ، ألقي السلام
للعشب والزهر المندى والنسيم

بصير ــ زهدي خليل

---

١ ــ عيون : جمع عين وهي بمعنى بئر الماء



نقد : الدكتور فؤاد أيوب

دراسات في دوستويفسكي

« قد يكون الفقر أمرا محتملا ، اذ يبقي على كرامة الانسان . أما البؤس فشر فظيع ، لانه يقضي على الكرامة » . وبالفعل ، فقد قضى البؤس على كل ما يمت بصلة الى الكرامة الانسانية عند العجوز السكير مارميلادوف ، والد سونيا في « الجريمةوالعقاب » ، حتى أتى الموت تحت عجلات عربة الجر فحمل اليه الخلاص المنشود . أما دوستويفسكي ، فاذا كانت فكرة الموت قد راودته أحيانا باعتباره حلا حاسما كما يتخبط فيه من عوز وبؤس . فقد كان له بالمقابل من ايمانه بنفسه وبعبقريته وبفنه ما يجعله يطرد تلك الفكرة ويناضل بكل قواه ضد تلك القوى الخارجية التي تئد على حياته، باحثا عن الخلاص في اتجاهات وسبل أخرى . واذا كان يفقد كرامته من حين لآخر ، مثله في ذلك مثل العجوز مارميلادوف حتى درجة ما ، فسلواه أنه لا يفقدها مستسلما ، بل في حلبة الصراع ضد هذا الشبح الرهيب الذي ظل يطارده طوال حياته ، وكان السبب ليس في آلامه فحسب ، بل في كثير من نقائصه الفنية أيضا . ألم تكن حاجته الماسة الى المال تدفعه الى بيع مؤلفاته وهي بعد مجرد صور في مخيلته ؟ وكم مرة شرعت المجلات في نشر الفصول الاولى من احدى رواياته ، فيما هو يكتب فصولها التالية ، دون أن يدري بعد كيف سيكتب الفصول الاخيرة منها ؟ ثم هذا هو يهتف ، اذ يرى روايته بين دفتي كتاب ـ ولات ساعة ندامة : « أواه ، لو انني أستطيع استردادها ، لو كان في مكنتي تصحيحها . اني أرى الآونة أين تكمن الصعوبة ، أرى أين يقوم الخطأ ؟ أأكون قد قتلت فكري بخطيئتي ؟ » .

ولقد رأيناه وهو يتوسل ، ويستعطف ، ويتذلل ، ويمد يده ليستعطي ، ولا يحصل على ما يقيم الاود الا وبعد أن يدوس كرامته عشرات المرات . وانه ليتاجر بفنه وبموهبته ، فيبيعهما بيع العبيد في سوق النخاسة كي ينقذ نفسه من السجن الذي يتهدده اذا لم يف بالديون المترتبة عليه ، موقعا عقدا مع الناشر ستيلوفسكي يبيعه بموجبه ، لقاء ثلاثة آلاف روبل فقط ، الحق في نشر مجموع مؤلفاته في ثلاثة أجزاء ، متعهدا في الوقت نفسه بتسليمه رواية جديدة ـ وتشاء سخرية الاقدار أن تكون هذه الرواية « المقامر » بالضبط ـ قبل الاول من كانون الاول عام ١٨٦٦ ، والا فقد سائر حقوقه في مؤلفاته الحالية والآتية التي ستصبح اذن ملكا للناشر وحده . وما عساه أن يفعل ، هو الضائع في لجة هذه الديون الجارفة: « اني أحرق مائتين وخمسين روبلا من أجل الطعام ، وثلاثمائة روبل لاسدد ديوني . وانه لينتابني تهيب أليم جدا من شيء يستحيل علي تحديده ، شيء عصي على

الادراك ، شيء لا يوجد في سياق الحوادث العادي ، وهو قد يتحقق من لحظة لاخرى • أتعرفون ما يمكن أن تعني هذه الكلمات : ألا يعرف المرء أين يوجه خطاه ؟ » انه يعرف جيدا أن عمله يدر عليه ربحا لا بأس به : « فليتركني الدائنون وشأني سنة واحدة ، واني لاستطيع اذن بكل سهولة ، بواسطة تتابع عملي ، أن أدفع سائر ديوني » لكن الدائنين ، هؤلاء البورجوازيين الحقيرين الذين قدت قلوبهم من نحاس ، وعقولهم أيضا ، لا يرحمون • انهم يلاحقونه دون هوادة ، ويهددونه ، ويجبرونه على أن يعتصر ذهنه ويجهد قلمه كي يحصل على ما يسكت به ظمأهم غير المرتوي الى المال : « اني بروليتاري في ميدان الادب • واذا كان ثمة من يحتاج الى عملي ، فلا بد أن يؤمن لي الضروري باديء الامر • وان هؤلاء الناس يسلخون جلدي ، والهواء نفسه يعذبني • أفأكون كلب صيد ليس غير ؟ ان الجهد الذي يضطرني اليه عوز المال يخنقني ويضنيني • هل تنتهي آلامي يوما ؟ أواه ، لو أن المال لا ينقصني ، لو أن مستقبلي كان مضمونا ! » •

ما أشبهه ببطله في « الجريمة والعقاب " • لقد كان الطالب راسكو لنيكوف شابا ذكيا ، نير الذهن ، ينتظره مستقبل لامع • لكن الفقر ، هذا العدو الالد للانسان ، اضطره الى الانقطاع عن الجامعة • ولما كانت كبرياؤه تمنعه من العودة الى أحضان والدته المسكينة ، هذه التي تقتر على نفسها وعلى ابنتها الوحيدة لتوفر من مرتبها الضئيل ما يمكن ولدها الوحيد أيضا من متابعة دروسه ، فقد راح يبحث عن لقمة العيش في أعمال مختلفة غير منتظمة • وما أكثر ما بات على قدح من الشاي في غرفته الباردة المظلمة ، العارية تقريبا الا من طاولة بالية وكنبة عتيقة ، ليتسلل عند الفجر كاللص من المنزل ، متفاديا لقاء صاحبة الدار التي لا بد اذن أن تطالبه بما عليه من دين متقادم ، وهو لا يملك اذن ، وذل موقفه يسحقه سحقا ، الا أن يعتذر ويختلق الاكاذيب لتبريره تأخره عن الدفع • وتلك كانت حال دوستويفسكي في أوروبا ، حيث فر من وجه دائنيه وتهديداتهم • انه وحيد في فندقه ، اللهم الا من ذلك الرفيق الامين منذ نعومة الاظفار ، البؤس بكل حاشيته من الهموم ، والديون ، والخوف من الغد المظلم ، الغد الذي قد لا يجد فيه حتى ثمن كأس الشاي الذي يقتات به ، أو يعوزه فيه اللباس الذي يتستر به ، وأهم من هذا أو ذاك الكرامة التي تمكنه أن يشق طريقه بين أشباهه من الناس • أجل ، ان دوستويفسكي يقف وحيدا ، عاريا ماديا أمام الحياة ، في جيبه بضعة روبلات لا تكفي لاجر الفندق ، لكن بين أضلاعه قلبا كبيرا ، وفي رأسه عبقرية نادرة لا بد من معجزات متتالية كي يحولها الى نقد جار • هل من عجب بعدئذ اذا دفعه اليأس الخانق ، مثل طالبه راسكو لنيكوف ، الى البحث عن سبيل للخلاص من هذا المأزق الابدي • ولقد حسب راسكو لنيكوف أنه وجد الحل حين قتل امرأة عجوزا مرابية ، تمتص دونما رحمة أو هوادة دماء المعوزين من أمثاله ، فهي أشبه بحشرة تعيش متطفلة على جسد هذا المجتمع ثم سرق مالها لينفقه في عمل ايجابي يعود بالنفع على هذا المجتمع نفسه • أما دوستويفسكي ، فان يأسه قد دفعه الى البحث عن حل للازمة على موائد القمار : « راودتني الفكرة الغريبة والمجنونة بأنه من المؤكد أني سأربح هنا على طاولة القمار • لماذا أتتني هذه الفكرة ، هذا ما لا أستطيع أن أدركه • لكنني أمنت بها • ومن يدري ، لعلي آمنت بها لانه لم يبق أمامي أي حل آخر ! » نعم ، لم يبق أمام دوستويفسكي ، هذا الذي كان يراعه يخط الغذاء الاهي للاجيال المقبلة ، لم يبق أمامه أي حل آخر • انه لمن الضروري جدا أن يربح أن يحصل على المال بأية طريقة كانت ، ولذا فانه يقامر، مدركا أنه بعمله هذا أشبه ما يكون « بغريق يتعلق بقشة •• ولو لم يكن يغرق لما حسب أن القشة غصن من شجرة • » بيد أنه يغض النظر عن ذلك ويتعامى عنه : « كل ما أعرفه هو أنه يجب أن أربح •• وذلك هو المنفذ الوحيد الباقي لي » •

وهكذا تبدأ المعركة الكبرى التي ستدوم سنينا طويلة • ان دوستويفسكي يتحدى القوة التي تطارده ، يتحدى القدر • انه الآن « المقامر » الدامي القدمين ، الذي يجرب الحظ أبدا ، ويخسر ، ويجري دونما جدوى خلف « المائة ألف فرنك » ، ليعود كل ليلة الى غرفته الحقيرة في الفندق أفقر منه في الصباح بعدة روبلات • ولم يكن له بد من تركيز كل ارادته ، ومن غض النظر عن مبادئه الاخلاقية الاصيلة ، كي يحمل نفسه على اللعب • لقد كان يبغض دائما تلك الرغبة في الربح بأقصى سرعة ، وبأكبر قدر ممكن ، التي يتميز بها المجتمع البورجوازي الجديد • أما الآن ، فلا بد له من اقناع نفسه بأنه ليس ثمة شيء من القذارة في هذه الرغبة ، ما دام الناس لا يفعلون ، ليس في الروليت فحسب ، بل في كل مكان أيضا ، سوى محاولة الربح وامتصاص شيء ما من بعضهم بعضا • ويقول المقامر : « عندما دخلت صالة الميسر للمرة الاولى في حياتي ، لم أستطع لسبب ما أن أقدم على المقامرة • وفيما عدا ذلك ، فقد كان ثمة ضوضاء عظيمة • ولو أني كنت وحيدا ، فاعتقد أني كنت قررت حتى في ذلك الوقت ، ولم ألعب أبدا • وأعترف أن قلبي كان يخفق ، ولم أكن هادىء الاعصاب • ولقد كنت على ثقة ، وهذا أمر جزمت به منذ زمن طويل ، بأني لن أغادر مدينة الروليت دون أن أتغير ، وأن تبدلات ، جذريا وأساسيا ، سوف يحدث في مصيري ، هذا أمر لم يكن منه بد • ومهما يكن من السخف أن أتوقع لنفسي شيئا من الروليت ، فأعتقد مع ذلك أن الرأي التقليدي المقبول من الجميع ، هذا الرأي القائل انه من الغباءة والسخف أن يتوقع المرء شيئا من القمار هو سخف أعظم • ولماذا يكون القمار أسوأ من أية واسطة أخرى لجمع المال ، التجارة مثلا ؟ صحيح أن واحدا من مائة يربح فقط ، ولكن ماذا يهمني ذلك!» ههنا ، عند المائدة الخضراء ، حيث يتعلق المصير باللون الاحمر أو الاسود الذي تتوقف عنده الكرة ، ليس ثمة مكان للمعتقدات الاخلاقية • « لقد أصبح مؤخرا مما يبعث على نفوري الفظيع أن أمتحن أفكاري وأفعالي بأية مقاييس أخلاقية • كان شيء آخر يسيرني •• » وان هذا الشيء الآخر ، الذي هو الرغبة الجارفة في الربح ، قد جعله يحس اذ دخل الصالة بأن « كل هذا الجشع ، أو كل هذه القذارة الجشعة اذا شئتم ، هي نوعا ما أمر طبيعي ومناسب تماما • »

انه ليراقب الروليت فترة من الزمن ، ويتصور أنه قد ملك أسرارها : « ذلك بسيط وسخيف • يكفي أن يتمالك الانسان نفسه ، وأن يتجنب الضياع مهما كان حظه من الربح أو الخسارة » • بيد أنه لا يكاد يلعب حتى يتغلب المقامر فيه : « ان الحمى تستولي علي ، فأدفع بالذهب على الاحمر ، وأسترد قواي العقلية بغتة • ومن ثم فان قشعريرة جليدية تستولي علي طوال ثانية واحدة ، فاذا رجفان من الهلع يجتاح يدي وركبتي ، وأدرك مرتاعا ـ في وميض من الوعي ـ ما سوف تعنيه الخسارة بالنسبة الي » •

ويخسر كل شيء خلال أيام قليلة ، فاذا هو ، في بلد أجنبي ، لا يملك كوبيكا واحدا • ويرهن ساعته لقاء دريهمات قليلة ، كي يخوض معركة الرسائل طوال أسابيع ، رسائل التوسل من أجل قليل من المال ، الى تورغنيف الذي ينجده بخمسين تابرا ، والى رانفل في الدانمرك الذي لا تصله رسائله ، والى هرتزن في سويسرا ، والى الناشر كاتكوف في الوطن • وانه يقتات بالشاي وحده : « عجيب ! اني لا أحس بالجوع مطلقا !» واما يعود ليلا الى غرفته ، فان صاحب الفندق يرفض أن يقدم اليه شمعة يستنير بها • ومع ذلك فقد كان كئيب ، في هذا الجو القاتم من البؤس والوحدة ، صفحات سوف تكون قصة ذلك الطريد الآخر للبؤس واليأس ، الطالب راسكولنيكوف •

ويصبح القمار هوى جارفا ، شيئا لا غنى عنه ، وبدونه لا يستطيع أن يشتغل • وتقول زوجته : « كثيرا ما كان يحدثني عن « اختفاء » موهبته ، وقد كان يتألم بشدة اذ يفكر أن عائلته تزداد عددا دون أن يعرف هو

كيف يمكنه تأمين معيشتها ، بحيث كان اليأس يستولي عليه • وكلما أطرد هذه الفكرة الثقيلة التي كانت تمنعه من الالتفات كليا الى عمله ، فقد لجأت الى الواسطة الوحيدة القمينة بتسليته ورد حماسته اليه ، وجذبت أطراف الحديث ذات يوم نحو القمار وسألت زوجي ما اذا كان يود أن يجرب حظه ، مرة أخرى ، في الروليت، مذكرة اياه بأنه قد سبق له أن ربح • كان يصعب علي أن أخسر مائة تالر لم يكن بد من التضحية بها ، بيد أني كنت أعرف بالتجربة أن زوجي ، بعدما يمر بتجربة انطباعات القمار العنيفة ، سيعود الى البيت وقد هدأ تماما ، ويعاود العمل بحمية جيدة ، ويعوض في اسبوعين أو ثلاثة أسابيع ما فقده •• » ولم يرفض دوستويفسكي الاقتراح المعروض عليه ، فأخذ مائة وعشرين تالرا ، وخلف زوجته وحيدة ، وقصد ديسبادن ليتحدى القدر من جديد •

وتتعاقب رسائله من هناك : « بدأت ألعب منذ الصباح ، وعند الظهر كنت قد خسرت ١٦ ماركا ذهبيا • وعدت بعد الغداء ، وفي نيتي أن أكون عاقلا قدرالامكان، وربحت — شكرا لله — كل ما خسرته ومائة فلورين بالاضافة • كان يمكنني أن أربح ثلاثمائة فلورين ، اذ أني حصلت عليها فعلا ، لكنني قامرت وخسرت • اصغي الآن الى النتيجة التي توصلت اليها ، يا آنا : عندما يكون المرء عاقلا ، عندما يكون قلبه من مرمر ، باردا وحذرا بصورة فوق انسانية ، فانه يستطيع اذن ، بكل تأكيد ، أن يربح كل ما يريد ، دونما أدنى شك على الاطلاق • وباختصار ، فاني أريد أن أحاول العمل بطاقة فوق انسانية أن أصير أكثر تعقلا • ولست أبالغ اذا قلت ان هذا كله بغيض الي حقا • انك ترينني ، يا آنا ، عابس الوجه عادة ، سيء المزاج ، متقلب الاهواء ، وليس ذلك سوى القشرة • لقد كنت دائما هكذا ، محطما ، مضطهدا من القدر • وصدقيني اني أختلف في أعماقي كل الاختلاف عن ذلك • لكنني حين أفكر في كل ديوني ، وفي كل أولئك الذين يحتاجون ، سواي ، الى هذا المال، فاني أحس اذن أن من واجبي أن أذهب وأقامر ، وفي الوقت نفسه أتصور حزني حين آت • ان ثمة شيئا فشيئا الى الكرامة في مجيء الانسان من أجل لا شيء ، وعددته أفقر منه حين قدومه • »

ومهما بذل من جهد كي يكون عاقلا ، فانه يفقد أعصابه تماما أمام الدولاب الذي يدور : « لقد خسرت أكثر من امكانياتي ، يا ملاكي • لا يجوز للمرء أن يقامر اذا كان له مثل أعصابي • لقد لعبت طوال عشر ساعات ، وانتهيت بالخسارة • واليوم أريد أن أقوم بتجربة أخيرة بما تبقى لي : قطرة ماء ليس غير • » لكنه يخسر قطرة الماء الاخيرة ، ويرهن ساعته ، ويقرر أن يتوقف عن اللعب : « كفاني قمارا ، سأعود في أسرع وقت • أرسلي لي اذن ، حالما تتسلمين هذه الرسالة ، عشرين ماركا • » وتفعل زوجته ما طلب منها ، وتقصد محطة السكة الحديدية في الموعد المنتظر لعودته كي تستقبله • لكنه لا يأتي ، فتعود لتنتظر هذه الرسالة منه : « يا آنا ، ياصديقتي ، يازوجتي ، أغفري لي • لا تنعتيني بالسافل • لقد ارتكبت جريمة ، خسرت كل ما أرسلته لي ، كل شيء ، كل شيء حتى الفلس الاخير • تسلمت المبلغ البارحة ، والبارحة خسرته • يا آنا ، كيف أستطيع أن أنظر اليك بعد الآن ؟ ما عساك تظنين بي ؟ ذلك هو الشيء الوحيد الذي يخيفني : ما سوف تقولينه ، ما سوف تعتقدينه بحقي !•• أواه ، ياصديقتي ، لا تدينيني بصورة نهائية ••! اني أكره القمار ، وليس اليوم فقط ، بل البارحة أيضا وما قبله كنت ألعنه • حالما تتسلمين رسالتي ، أرسلي عشرة ماركات • »

حين عاد الى زوجته ، فقد عاد اليها حاملا همومه ، وأسفه ، وضجره في الوقت نفسه • انه لا يزال يفكر ، متألما ، بالمال الضائع ، هذا المال الذي كانت عائلته في أمس الحاجة اليه • وانه ليتهم نفسه اذن بأنه أساء اللعب ، مفسرا خذلانه بتسرعه وقلقه • ثم ان الفرصة التي سنحت له لم تكن كافية ، فهو لم يلعب الا أياما قليلة ، وبمبالغ ضئيلة • لو أنه يستطيع الاقامة مدة أسبوعين على

الاقل في بلدة للقمار ، فلقد كان يهاجم الحظ اذن ببرود ، بأعصاب هادئة ، ولا شك أنه سيربح اذن . بادن بادن ، ذلك هو أفضل ما يفعله .

وفي بادن بادن يخسر ويربح .. انه يترك زوجته وحيدة في الفندق منذ الصباح ، ولا يعود قبل الحادية عشرة ليلا ، مكفهر الوجه ، أشعث الشعر ، مضطرب الهندام . لقد خسر .. ولا تمضي عشرة أيام على هذا القرار حتى يكون قد بدد كل الثروة الضئيلة جدا التي يملكها . وان حياة جديدة تبدأ اذن بالنسبة الى الزوجين حياة مجنونة ، بائسة ، وتستمر طوال شهر كامل . ان دوستويفسكي يرهن خاتم زواجه ، ويقامر ، ويخسر ، ثم يربح ، فيسترد الخاتم الذي رهنه ، ولا يلبث أن يخسر ، فيرهن الخاتم من جديد ، ويخسر من جديد . ويتوسل الى زوجته ، فتقدم اليه حلقها وهي تبكي ، فاذا هو يرتمي على قدميها ، يقبل يديها ، ويقسم لها بأنه لا يعرف أفضل منها امرأة في الوجود كله . بيد أنه يأخذ الحلق على أية حال ، ويرهنه ، ويقامر به . ويؤنبه ضميره ويعذبه ، فهو في نظر نفسه مجرم ، ولص ، وجبان في وقت واحد . لكن الاحمر والاسود يجتذبانه بقوة لا تقاوم . ان جسده ، كل عضو فيه ، يرتعش وينتفض فيما عيناه تلاحقان الكرة في قفزاتها الشيطانية ، لكنه بمقدار ما يتعاظم يأسه يشتد اجتذاب المائدةالخضراء له . « كان يجب أن أبتعد عند هذا الحد ، لكن احساسا غريبا اجتاحني ، نوعا من التحدي للقدر ، رغبة في اثارته ، في مد لساني له . » انه يلتحم جسدا لجسد مع الحظ ، اذ أن القضية هنا ليست قضية الاسود ، والاحمر والمزدوج أو الفرد فحسب ، بل انها قضية السعادة أو الشقاء ، الربح أو الخسارة . أربح وسوف تكون سيدا وسعيدا ، اخسر وسوف تكون مجرما وشقيا . وان كل كينونته لتتركز اذن في هذه الثانية من دوران الدولاب ، في هذا البرق الخاطف من اللذة أو الالم ، بحيث يعيش من جديد ، اذ يقامر بالكل مقابل الكل ، تلك الدقيقة التي تعادل دهرا في ساحة سيميونوفسكي ، أو تلك البرهات الخاطفة التي تسبق نوبات صرعه ، والتي هي أسعد اللحظات في حياته . وانه ليعرف جيدا أنه اذ يقامر فانما يتحدى القدر،ذلك أنه لا يقامر ، هو دوستويفسكي بالمال فحسب ، كما يفعل الاكثرية الساحقة من المقامرين الذين التقى بهم حول موائد الميسر ، بل يقامر بآخر فلس يملكه ، يعني بكل وجوده . ولذا فانه اذا ربح لا يربح مالا فحسب ، بل يربح نشوة أيضا ، نشوة التغلب على ذلك اليأس القاتل ، ونشوة الشعور بالكرامةالانسانية من جديد : « لقد ربحت .. اني أنتسب من جديد الى الانسانية » .

ويعود دوستويفسكي بعد ساعتين الى الفندق : لقد خسر قيمة الحلق . وتروي لنا زوجته : « ارتمى على مقعد وأراد أن يأخذني على ركبتيه ، لكني انزلقت الى قدميه أحاول تهدئته ، وأقسم لي أنه قامر ذلك اليوم للمرة الاخيرة ، وأنه لن يعود الى ذلك مطلقا ، وأخفى وجهه بين يديه وبكى . أجل ، بكى . وقال لي : « لقد انتزعت منك ، سرقت منك ، أعز حليك ، وخسرتها . »

لكنه يشحذ منها خمسة فرنكات في الغداة ، ثم يرهن بالتتابع خاتم زواجه ، وبعض ثيابه ، وخاتم زوجته أيضا . ويربح ما يسترد به الخاتمين ، ثم يخسرويرهنهما من جديد . وفي هذه الاثناء يطالبه الدائنون ، من موسكو بما لهم عليه من مال .

وهذا هو يعود ، ذات مساء ، محطما مسحوقا : « لقد انتهى كل شيء . لقد خسر كل شيء . كان حزنه عظيما جدا حتى خشيت أن تصيبه نوبة . »

ان موسكو هي الاصل الوحيد الآن ، فتتوالى رسائله الى هناك طلبا للمال : « ان زوجتي وأنا لفي بؤس شديد حتى أن آخر قطعة من ملابسنا قد رهنت (لا تقل ذلك لاحد) . ولسوف أضطر أن أبيع ما تبقى لنا من أشياء لا غنى عنها وأن أتنازل لقاء عشرين تالرا عما يساوي مائة تالر . ولسوف أكون مضطرا الى ذلك كي أنقذ حياة ثلاثة مخلوقات » . وبالفعل ، فقد رهن معطفه الشتوي ، واذ صرف قيمته ، والقطع الذهبية الثلاث

التي استدانها من غونتشاروف ، فقد استدعى الى البيت يهوديا صغيرا دفع سبعة فلورينات لقاء فروة دوستويفسكي وستة فلورينات لقاء ثوب آنا ، وفلورينين آخرين لقاء بذلة قديمة : « وانهم ليطلبون مني أن أكتب • اني أنتزع شعري ، وأقضي ليالي بيضاء ! اني أجن ! اني أنتظر ! أواه ، يا الهي ! ليس في مكنتي أن أصف سائر تفاصيل بؤسي ، اني لاحمر من ذلك ! وانهم ليطالبونني بشعر صاف ، بفن ، دون دوار • انهم يذكرون لي تورغنيف ، وغونتشاروف ! فليأتوا ويروا في أية حال أشتغل » •

ان العمل في «الابلة» متوقف ، لان دوستويفسكي لم يحصل على قليل من المال حتى انطلق من جديد يقامر به • وانه الربح والخسارة من جديد • وذات يوم ، « عاد الي فيديا المسكين يائسا • قال انه سيجن ، وانه سيطلق عيارا ناريا على نفسه » •

وان ايجار الغرفة لم يدفع ، وليس ثمة خبز ، ولا شاي • وفي زاوية من الغرفة المحرقة كومة الثياب القذرة • وتنهض آنا ، وتجمع الثياب ، وتخرج لتغسلها بيديها •

ويربح دوستويفسكي بعد أيام ما يكفي كي يسترد كل الاشياء المرهونة ، وتتلقى آنا من والدتها في موسكو مائة وخمسين روبلا • ويخرج فيديا بعد الظهر قاصدا اليهودي ليسترد الحلى والخاتمين • لكنه ، « في الثامنة مساء ، رجع فيديا • اندفع نحوي باكيا وملوحا بيديه يائسا ، واعترف بأنه خسر كل شيء ، كل ما أعطيته كي يسترد الحلى •• وطلب مني مجددا المال اللازم من أجل استردادها ، لكنني رافقته هذه المرة عند ديسمان ، لانه لم تعد لي ثقة فيه • وفي الطريق ، كان فيديا يقبل يدي ، ويتوسل الي كي أغفر له ، وكأنه كان حقا مذنبا كبيرا » •

هكذا كانت تمضي به الايام ، وهو يعيش مثل « مقامرة » في قلق متصل • اني أقامر بأصغر المبالغ ، ولا أبرح أنتظر شيئا ، أحسب ، وأقف أياما بطولها أمام مائدة القمار أراقب اللعب ، بل انني لاحلم بالقمار ـ لكني أحس أنني قد أصبحت ، في هذا كله ، قاسيا متخشبا ، وكأنني غرقت في مستنقع موحل •• اني أعلم بصورة أكيدة أني لست وضيعا ، وأعتقد أني لست مبذرا أيضا ـ ومع ذلك ، فيا للرعشة التي تجتاحني ، ويا للخفقان الذي يستولي على قلبي ، حين أسمع مدير الطاولة يصيح : واحد وثلاثون ، أحمر ، مفرد باس أو أربعة أسود ، مزدوج ومانك ! وبأي جشع أتطلع الى طاولة القمار حيث تتبعثر القطع الذهبية المختلفة الاجناس والاوراق النقدية ، والى أكوام الذهب حين تنتثر من مجرفة مدير الطاولة مثل قطع من العنبر المتألق ، أو الى أكوام الفضة التي تبلغ ياردة في الارتفاع حول الدولاب • وحتى حين أكون في طريقي الى صالة اللعب ، فاني لا أكاد أسمع ، وأنا على مسافة غرفتين بعد من الصالة ، رنين المال المتناثر حتى يأخذ جسدي كله في الاختلاج •• أواه ، لشد ما يخفق قلبي اذن ! كلا ، ليس المال هو ما أريد • واني حين أربح أنسى كل ما مر بي من فشل ! ذلك أني ربحت بالمقامرة بما هو أكثر من الحياة نفسها ، وجدت الجرأة على المقامرة به ـ وهذا أنا ، من جديد ، انسان بين البشر •

لكنه يريد ، على أية حال ، أن يتخلص من هذه اللعنة ، أن يلتفت الى فنه وحده ، وأن يبحث عن الخلاص في هذا الفن : « يا حبيبتي ، يا وحيدتي أنتزيا ، لقد خسرت كل شيء • لكن تأكدي أنه سيكون زمن أكون فيه جديرا بك ، ولن أسرقك بعدئذ •• أما اليوم ، فان روايتي ، وروايتي وحدها ، يمكن أن تنقذنا • وانه ليخسر من جديد ، ولا يستطيع أن يشفى من هوسه : « أيها الملاك السماوي العزيز ، أسألك الصفح • اني أسمح حياتك • وان لدينا سونيا الآن •• ارهني ما تشائين •• يجب أن أعود اليك بأسرع وقت ممكن •• سوف يكون ذلك هو الدرس الاخير ، الدرس الرهيب والنهائي • يا حبيبتي ، أعتقد أن الله ، في رحمته ، يتصرف هكذا معي كي يخلصني ، أنا المقامر البائس ،

ويشفينني من هـذه اللعبة ، وينقذكما أنت وسونيا ، ينقذنا جميعا من أجل المستقبل » .

وترهن زوجته ما يقع تحت يديها ، وترسل اليه المال . وما أسرع ما تتلقى الجواب : « آنا ، بحق المسيح بحـق حبنا ، بحـق مستقبلنا ، لا تعذبـي نفسك ، ولا تضطربي ، واقرأي بانتباه هذه الرسالة حتى آخرها . يا زوجتي التي لا مثيل لها ، ياحبي المخلص ، ياملاكي السماوي ، انك تدركين ـ أليس كذلك ؟ ـ اني قد خسرت كل شيء ، وحتى الثلاثين تالرا التي أرسلتها الي . فكري أنه ليس ثمة انسان سواك يستطيع انقاذي ، وأنه ليس ثمة انسان سواك ، في الكون كله ، يحبني . وفكري أيضا يا آنيا ، أن تلك مصيبة تحمل قصاصها في طياتها . هذه الثلاثون تالرا ، أموت خجلا حين أفكر أني سرقتها منك . أتصدقين ، يا ملاكي ، أني حلمت طوال العام في أن أبتاع لك زوجين من الحلق بمديلا عن ذينك اللذين لم أردهما اليك مطلقا ! منذ أربعـة أعوام وأنت تحملين من أجلي كل ما تملكين لترهنيه ، وتعيشين حياة تائهة ، حياة لا أمان فيها ، تغص بالحنين الى الوطن . آنيا ، يا آنيا ، قولي لنفسك اني لست دنيئا سافلا ، واني لست الا رجلا تلتهمه حمى القمار ، لكن قولي لنفسك أيضا أن هذا السراب في الوقت الحاضر قد تبدد بصورة نهائية . ليست هذه المرة الاولى التي أعطي فيها هذا العهد ، لكنها المرة الاولى التي أجرب فيها الشعور الواضح جيدا الذي يحملني على الكتابـة اليك . اني أحس أني تحررت من هـذا الكابوس ، واني لاشكر الله على ذلك ، حتى لو كان ثمنه مثل هذا البؤس ، لو لم أكن قلقا جـدا مـن داحيتك في هـذه اللحظة » .

وبعد أيام قليلة : « بقي لي تالر ونصف من النقد، وهذا يكفي من أجل برقية ، لكني أخشى الانفعال الشديد الذي قد تحسينه ، ولذا قررت أن أكتب رسالة اليك . آنيا ، أنقذيني مرة أخيرة ، وارسلي الي ثلاثين سالرا . اني لن أقامر ، لن أقامر بعد اليوم مطلقا . سوف أعود في الحال اليك ، وثقي أنك لن تندمي على ذلك هـذه المرة . سوف أعمل بكل قواي من أجلك ومن أجـل ليوبا (كانت ابنته الاولى سونيا قد توفت) طوال حياتي . وسوف أبلغ غايتي وأسعدكما . اذا لـم تستطيعي أن تفعلي ذلك يوم الاحد ، فلا تعذبي نفسك ، وفكري في ، أقل ما يمكن ، فأنا لا أستحق أكثر من ذلك . أجل ، لكأن نفسي قد ولدت الى حياة جديدة . اني لا أقول ذلك الا لك ، ولله ، ولو لم أكن أتعذب جدا بخصوصك، فاني كنت أستطيع أن أكون سعيدا تقريبا خلال هذه الايام الثلاثة . لا تحسبي أني أهذي يا آنيا ، يا ملاكي الحارس . ان يوما عظيما قد أشرق بالنسبة الي ، والحلم الرهيب الذي يثقل علي منذ عشر سنوات قد تلاشى . فمنذ عشر سنوات ، أي منذ وفـاة أخي ، وأنا أعيش مسحوقا بالديون ، وقد حلمت بايمان وهوى متعادلين في ثروة قائمة على القمار . ولقد انتهى كل شيء ، وكانت هذه المحاولة هي المحاولة الاخيرة . صدقي ، يا آنيا ، أن يدي قد تحررتا ، وأن قيود القمار قد سقطت . ولن تمر ليالي بعد الآن في أحلام عن طرق للمقامرة لا يمكن أن تخيب . وأن العمل سيستفيد من ذلك ، وسيباركه الله . والآن ، وقد مات الانسان العتيق في ، فوف نمشي سوية في الحياة ، وسأسهر على أن تكوني سعيدة » .

كان ذلك تعبا حقيقيا ، ولادة جديدة بكل معنى الكلمـة . وتقول زوجتـه : ان هـذه الكلمات : « ان الكابوس الذي عذبني طوال عشر سنوات قد تلاشى » ، و « كانت هذه الخسارة هي الخسارة الاخيرة » ، قـد تحققت كليا . ولم يعد زوجي الى الروليت قط ، بالرغم من أنه وجد عدة مرات في مدينة ايمز وكان يملك ما يكفي من المال كي يذهب حتى موناكو . لم يعد القمار يجتذبه مطلقا . اننا نستطيع اذن أن نتحدث عن بعث عنده بالمعنى الحرفي للكلمة .

دمشق ـ الدكتور فؤاد أيوب



منذ أن رأيتها للمرة الاولى وهي تطل برأسها من نافذة بيتها المجاور لمكان سكني أدركت أنها لي • وبروح ملؤها المغامرة رحت أجمع المعلومات عنها فعلمت أنها جاءت للحي تسكن ووالدتها بعد طلاقها من زوجها ••

وبروح ملؤها المغامرة تقدمت في اليوم الثاني الى النافذة حيث كانت تطل برأسها كعادتها لارى عينين تلمعان ملؤهما الاثارة • وقلت متمتما وأنا أرقب اللونين الاسود والابيض اللذين يشكلان ثوبها — « انها تحتاج لعنكبوت مثلي كي يحيك خيوطه حولها » • وكانت بائعة اليانصيب الطفلة قد اقتربت من نافذتها فتناولت ورقة اليانصيب منها بقلق ، وأخذت تقرأ الرقم وتتمعن بقراءته عندما قاطعتها — « لن تحصلي على الغنى بهذه الطريقة » أسبلت يداها ونظرت بحملقة الي — « ليس من شأنك » كان كل ما قالته • أدخلت رأسها من النافذة بينما استمرت تتمعن بالرقم على ورقة اليانصيب متجاهلة وجودي • لم يكن المرح البادي علي ليثير اهتمامها •

اتخذت من نافذتي مكانا دائما لمراقبتها والنظر اليها ولم أدخر جهدا لابداء وجاهتي ومعالم أناقتي وثرائي •• فلم يومان آخران حتى جاء الرد منها ابتسامة مشرقة •• وحصلت بعد ذلك على موعد للقاء •• وحددته بعد عشرة أيام !!

وأسرعت الى مكان اللقاء قلت — « ان نادية لا يهمها شيء سوى كسب المال » قلت لها وأنا أرفع حاجبي عيني • وأجابت — « أريد أن أذهب الى عين الخضرة للتسلية » وعندها أسرعت بانتقاء سيارة فخمة للاجرة كي تناسبها وقلت للسائق — « بسرعة الى عين الخضرة من فضلك »

ونظرت اليها برفق فوجدت عينيها تعبران عن شك برفقتي •

وبعد المساء طلبت الي أن نعود ، فأشرت للسائق الذي ما زال ينتظر موكبها ، وعندما أصبحنا عند المنعطف المؤدي الى دمر ، طلبت من السائق أن يتجه نحو دمر ، ونظرت اليها فأشارت بعدم الاعتراض على طلبي • وترجلنا في دمر حيث اتجهت بها نحو منتزه يقع على هضبة يكسوها ضوء القمر الزاهي •• حيث المكان موحش ويعمه السكون الا من حفيف أوراق الشجر بينما تغطي أرضه أعشاب خضراء ناعمة وباندفاع هادىء عزمت الحصول على قبلة قصيرة واحدة « من فضلك » همست في أذني « فانني أكاد لا أعرفك بعد » •

كنت أستطيع أن أشعر بقلبها وهو يدق • وكأنها تريد أن تمنع أمرا مزعجا فلقد اقترحت بأن نعود • نعود الى بيتها • « نستطيع أن نلعب بالورق •• كما سأرى اذا كنت سأربح ورقة اليانصيب فهذا المساء ستذاع النتائج ، قالت •

كيف أستطيع أن أرفض طلب هاتين العينين العسليتين الواسعتين ؟

ليست رفقة سيئة على أي حال • فلقد كان بيتها حسنا جدا • وعندما أخذت تريح قدميها من الحذاء فان تلك الفخذ شيء جدير بأن يتذكر أبدا • وحالما صالبت ساقاها واستتر الفخذ فانني غيرت خطتي • كانت جميلة جدا ، لقد كرهت فكرة نيلها •

اتجهت نحو التلفزيون وأدارت مفاتيحه • كانت فرقة راقصة تؤدي رقصة السماح بطريقة حالمة • وقرع لارس الباب « لا تتحرك •• لا تنزعج » قالت رابتة على

كتفي « انه الولد الخضري » وتتبعتها بعيني وهي تترك الغرفة ..

جعلتني أفكر بفتاة في الماضي ، بسيطة ، رقيقة وتخطف الابصار ، حبيبة مدهشة . الفتاة الوحيدة أبدا التي أحببتها . اضطجعت الى الخلف على الاريكة معيدا الى ذاكرتي ضوء قمر في دمر ونسمة باردة وقبلة صامتة .. لقد كانت المرة الوحيدة في حياتي التي كنت بها قريبا من السعادة . لقد فعلت كل شيء من أجلها ، منحتها حياتي . أحببتها كثيرا ، كثيرا جدا . ثم تحت سماء مكفهرة ملبدة بالغيوم ، سماء سوداء أو قرمزية حدث . لقد دهشت ، لم أستطع تصديق ذلك . وحتى لهذا اليوم لا أريد تصديقه . على أي حال ، لا أزال لدي قليلا من المبادىء ، اضحك ان شئت .

لقد غاب ذهني مدة قبل أن أدرك تماما انني في هذا البيت . ولكن خطوات امرأة أيقظتني . امرأة غريبة وقد عادت بفنجاني قهوة . وخرجتا عيناي من محجريهما لترينا أنها وضعت لباس النوم عليها . كانت أجمل منامة مطرزة وزاهية الالوان تلف جسمها . « تفضل القهوة » قالت .

وشربت القهوة وذهني يقول ـ « تعويضا عن الحب الذي فقدته على الهضبة » ووضعت الفنجان مشيرا الى الوجه الخجول البادي على شاشة التلفزيون وهو يقدم دعاية للقهوة ـ « ان تجارة القهوة بالتأكيد تزيل الرومانطيقية من هذا » .

وصغرت عيني عندما كانت تضع فنجانها جانبا . واتجهت الى التلفزيون وأغلقته .

ضحكنا معا ..

لم يمض أكثر من عشرة دقائق عندما حملتها عن الارض ووضعتها على الاريكة ورميت غطاء عليها . « نامي جيدا » قلت « آسف كان علي أن أبادلك الحديث الشيق كي لا تنامي ولكني وقعت مرتين فذلك سيكون كثيرا جدا » .

وتجولت بغرفتي بيتها وبحثت في حوائجها . وجدت دبوسا تسمرت عيناي عليه .. ثم حذاء أزرقا رشيقا .. ثم أيضا الدبوس الذهبي الآخر .

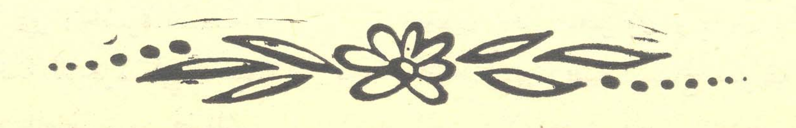
وعدت الى حيث ألقيتها .. وانحنيت فوق الجسد المسجى وهززت رأسي «يا لك من مخلوق غريب لطيف» فكرت « أنت متأكدة أنك غررت بي » وانتزعت ورقة من مفكرتي وكتبت « أيتها الحبيبة .. شكرا لاحتفاظك بهداياي لمدة سنوات مضت . أذكري تلك الليلة الساحرة التي قضيناها على الهضبة في منتزه دمر ، الليلة التي تمتعنا بها بضوء القمر الساحر ، تذكري كم مرحنا وأحاديثنا ، ولكنني غاضب فقط لانك لم تعلقي على شاربي الذي حلقته » .

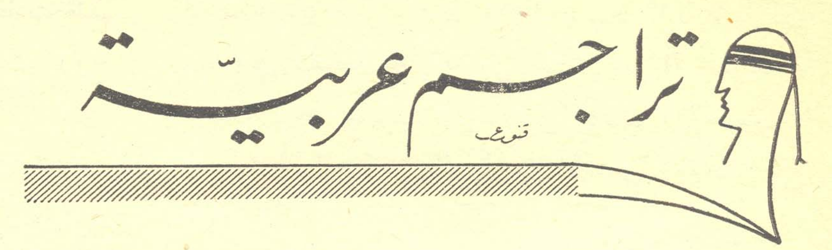
وضعت الورقة وانحنيت وقبلت الشفاه النائمة .

وخرجت ودخلت الى ملهى .. وهنا رمقتني فتاة شقراء وتبعتني الى حيث جلست واتخذت مقعدا مقابلا لي . وأخرجت سيجارة وأخيرا استدارت وقالت : ولعه .

أخرجت علبة الثقاب وأشعلت السيجارة المتدلية وهززت رأسي بالنفي ردا على نظرات الاغراء « آسف .. انه المكان حيث أتيت » ودفعت حذائي وأسرعت خارجا الى الليل .

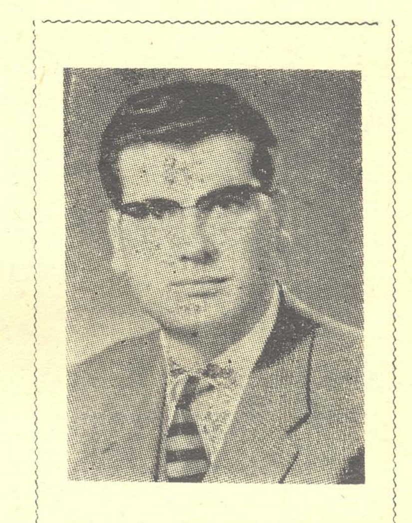
أمين موسى





مريانا مراش

بقلم : عيسى فتوح



اذا ما ذكرنا وردة اليازجي ، وردة الترك في لبنان وعائشة التيمورية في مصر ، ذكرنا مريانا مراش في سوريا ... فهي شاعرة حلب بلا منازع قبل نصف قرن تقريبا ، وأخت العالم والطبيب والشاعر فرنسيس ممراش والتاجر الاديب عبد الله مراش ، أما أبوها فهو فتح الله مراش صاحب المكتبة المراشية الكبيرة التي سارت بذكرها الانباء .

ولدت مريانا في حلب عام ١٨٤٨ وفي بيت فني بقضايا الادب والفكر ، فمنذ أن فتحت عينيها للنور رأت نفسها محاطة بالكتب ، وعندما أيفعت بدأت تتلمذ على أخيها فرنسيس الذي لقنها العربية أما الفرنسية فتلقتها في مدرسة راهبات مار يوسف .

كانت بيروت تعيش في ذهن الصبية الحسناء ، تحلم بها وتتمنى لو تنهي دراستها في معاهدها الاجنبية التي تعد بالعشرات ، وكيف لا يحلم بتلك المدينة كل أديب وشاعر ، وهي التي كانت وما تزال مصدر الاشعاع الفكري ، وملتقى التيارات الادبية والفلسفية في العالم ، حتى لقبت بباريس الشرق !.. وهكذا غادرت الطالبة الشاعرة مدينة الشهباء ، لتدخل المدرسة الانجيلية التي أنشأها « وورتبات » وتفني ثقافتها العربية والانكليزية ، لان ثقافة البيت لم تعد تنقع غليلها وتشبع نهمها ، وتروي ظمأها الى العلم .

ويشاء القدر ألا تمكث طويلا في بيروت ، فعادت من حيث ذهبت ، أسيفةمكدودة الذهن لتستأنف الدراسة على أبيها علامة عصره ، فأتقنت عليه قواعد الصرف وأصول النحو والعروض ... ولم تقف عند ذلك بل طفقت تتعلم الموسيقى على نفسها حينا ، وتتلقى بعض الدروس في العزف على البيانو حينا آخر حتى أجادت ذلك كله .

ومضت سنوات ، واذا بالفتاة تأنس من نفسها القدرة على النظم ، فتنظم بضع قصائد تبعث بها الى مجلة (الجنان) التي كان يصدرها المعلم بطرس البستاني - أول من دعا الى تعليم المرأة - فتقع من نفسه موقعا حسنا ... وهكذا راح اللغوي الكبير يشجعها من بعيد ، ويرعى موهبتها الشعرية ، وينشر لها مقالاتها النثرية التي تنتقد فيها عادات فتيات عصرها ، وتحضهن على التزين بالعلم والتحلي بالادب ... ومثل ذلك فعل خليل سركيس صاحب جريدة (لسان الحال) .

يقول الاستاذ سامي الكيالي : « كانت مريانا مراش تنتقد التقعر في أساليب الكتاب وتدعو بنات جنسها الى معالجة الكتابة ، والى تحسين الانشاء ، وتنويع الموضوعات والتفنن فيها ، وقد سافرت الى أوروبا ، واطلعت على

أخلاق الاوروبيين وعاداتهم عن قرب ، فاستفادت منهم كثيرا ، ثم عادت الى وطنها تبث بين بنات جنسها روح التمدن الحديث والاخلاق الصحيحة • »

ويقول في مكان آخر : « كانت مريانا لزمنها من الشاعرات المشهورات ••• فهي أول أديبة سورية كتبت في الصحف ، ولا سيما بعد زيارتها لديار الغرب ••• وظهور امرأة تكتب في الصحف ، وتنظم الشعر في تلك الفترة المظلمة حادث له دلالته ، وتاريخنا القريب يقول ان الذين يقرؤون ويكتبون من الرجال في تلك الفترة بالذات من الندرة بمكان ، لذلك كان ظهورها في خضم تلك الليالي المربدة المظلمة أشبه بالنجمة المضيئة في كبد السماء » •

ان ما خلد هذه الشاعرة في تاريخ الادب النسائي السوري ليس ديوان شعرها فقط ، وانما صالونها الادبي الذي يعتبر الوحيد من نوعه في الشرق ، قبل أن يكون صالون مي زيادة الذائع الشهرة في وادي النيل ، ولعل رحلتها الى أوروبا ، ومشاهدتها الكثير منه لدى السيدات الاجنبيات أمثال مدام ده ستايل ومدام ده نواي شجعاها على اقامته رغم ضيق الحياة الاجتماعية في تلك الآونة المظلمة من العهد العثماني البغيض •

كان رواد صالونها ضمة من أدباء حلب يومذاك كقسطاني الحمصى ، وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزي ورزق الله حسون وغيرهم ، يعيشون فيه كأسرة واحدة ويتطارحون الشعر ، كل واحد منهم يلقي ما نظمه في فترة غيابه عن الصالون ، أما مريانا الشاعرة فكانت تلف الجميع بأغمار الحب الدافيء ، والانوثة العبقة والمرح البريء الطيب ، وتوزع ببراعة فائقة ظرفها ورقة شمائلها ، واشراقات مبسمها العذب ، حتى يخرجوا وهم يلهجون بلطفها وحسن معشرها ، مسحورين بأنغام بيانها الذي كان يخضب الشعر بالموسيقى •

يقول قسطاكي الحمصي أحد رواد صالونها الدائمين : « كانت مريانا مليحة القد ، رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، فكهة الاخلاق ، طيبة العشرة ، تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج » • ويقول أيضا : « كان منزلها مثابة الفضلاء وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وكان لنا عندها منزلة ترتد عنها أعين الحساد كليلة ، لما كان بيننا وبين شقيقها عبد الله من المودة الجزيلة الطويلة ، فسقيا لايام الشباب ، ومجالس الآداب والاحباب ، ومسجلاتنا بالمحفوظ والبديه من الاشعار ، ورقصنا على العود والمزمار » •

وعندما أسرف المستعمر التركي في تضييق الخناق وبث الرعب والفوضى ، واشاعة الذعر في صفوف الناس وبخاصة حملة الاقلام منهم وألح في تشريدهم ، وتقتيلهم أو نفيهم وسجنهم اضطر هؤلاء الى مغادرة البلاد مقهرين ، تاركين في الوطن أحبابا يذوبون شوقا اليهم ، وحنينا الى نشق رياهم ، ومجالس أنس هيهات أن يجود الزمان بها مرة أخرى ••• وهكذا انفرط عقد الادباء ، واقفر الصالون من غير مريانا ••• فر جبرائيل الدلال وهو في طليعة المغضوب عليهم ، الى باريس بلد الحرية والنور ، ومن هناك بدأ يكاتب صديقه المقيم قسطاكي الحمصي ، ويصف له حياة الفرنسيين الطليقة من كل قيد ، وحريتهم التي يعتبرونها لا أثمن ولا أغلى ، وانه على كره الغربة ، راض بها ما دامت تصون كرامته ، وتحمي شرفه من الاذى يقول :

واذا لم يكن هنا غير آن الحر فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظا لقلبي وان سالت على غربتي غروب المدامع
لم تبق لي الاراذل بالشهباء من مآرب ولا من مطامع

وعندما يذكر الشهباء لابد أن يذكر مريانا ربة الفضل والفضائل كما يقول ، ومجالس الادب اللطيفة في ردتها الانيقة ، ويتحسر :

لا ولا أشتهي سواكم ولا أرغب فيها ن بعد تلك الوقائع
غير قرب الفريدة اللطف ذات الصون والحسن والذكا والبدائع
ربة الفضل والفضائل (مريانا) التي ذكرها يسر المسامع
والتي زانها الكمال اذ زان سواها الحلي وسدل البراقع

شعرها :

ان من يتصفح ديوانها الصغير الحجم (بنت فكر) يجد فيه قصائد بعضها في المدح ، وبعضها الآخر في الغزل والرثاء وشعر المناسبات والالهيات • ذلك أن مريانا مدحت نفرا من رجال السلك القنصلي الذين كانوا يفدون على صالونها ، كما مدحت بعض رجال الدولة من ترك وعرب ولا يقعن في خلدنا أنها كانت تمدح بغية صلة من مال أو بغية عطاء ، كلا بل ان مدحها مدح اعجاب لهم بشعر

ينضح بالود ويفيض بالاخلاص ، ويبعد عن التزلف بعد السماء من الارض ... فمن قولها تمدح السيد ايوانوف قنصل روسيا :

بزغت شموس السعد بالشهباء
فجلت لياليها عن الظلماء
قشعت غيوم الضيم عنها فانجلت
كعروسة تزري ببدر سماء
وغدت بها السكان تمرح بالهنا
وتجر ذيل مودة وصفاء

أما رثاؤها فيكاد ينحصر في أهلها وأقربائها ، وكلهم عزيز عليها ، أثير عندها . رثت أخاها فرنسيس المتوفي ١٨٧٣ رثاء ينم عن عاطفة ولا عاطفة الخنساء نحو أخيها صخر . وما دام تجانس المصاب قد جمع بينهما ـ كلتاهما فقدت أخا شابا كريما عليما شهما ـ فلا غرو أن تلتقيا في أكثر من نقطة ، وتتقابلا في أكثر من زاوية ، ويقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، فلجأت مريانا الى تعظيم أخيها ، واظهار فضله وعلمه وأدبه وشهرته وذيوع خبره . وتهويل فاجعتها به ، حتى انها أشركت الورق والازهار والرياض ، ومظاهر الطبيعة كلها من جو وماء ، وهي لا تخفي تأثرها بالخنساء بل تصرح به تصريحا فتقول :

ما لي أرى أعين الازهار وقد ذبلت
ومال غصن صباها من ذرى الشجر
ما لي أرى الروض مكمودا وفي كرب
والماء في أنة والجو في كدر
ما لي أرى الورق تنعي وهي نادبة
فراق خل وتشكو لوعة الغير
نعم لقد سابق الاحياء أجمعها
ونام ذا اليوم مطروحا على العفر
من فقه الناس في علم وفي أدب
ونور الكل في شمس من الفكر
أبدى من الفضل ضوءا لا خبوله
والشمس شمس وان غابت عن النظر
وانه بحر علم لا قرارة له
وقد حوى كل منظوم من الدرر
هذا الذي جابت الاقطار شهرته
قد صار مطرحا في أضيق الحفر
خنساء صخر بكته حينما نظرت
اليه ملقى بلا سمع ولا بصر
أقلام أهل النهى ترثيه وا أسفي
هل عاد من عودة يا مغرد البشر
قد غاب شخصك هذا اليوم عن نظري
جادت عيوني بدمع سال كالمطر
فيا لدهر خؤون لا زمام له
قد راش سهما أصاب الفضل بالقدر
فحزن يعقوب لا يكفي لندبك يا
ندبا تفرد بالاجيال والعصر
ويلاه من حزن قلب نال غايته
قد واصل القلب في غم مدى الدهر
في لجة الحزن نفسي ضاق مسكنها
من ذا يسلي فؤادي قل مصطبري

مالي أطنب في وصف عاطفتها وعاطفتها كعواطف كل امرأة ، وهل تحتاج عواطف المرأة الى دفع أو اثارة أو تحريك لتتفجر ؟! أفلا يكفي أن أقول انها عاطفة أخت وكفى !!

ولمريانا هذان البيتان في رثاء صبية من نسيباتها توفيت محترقة بالبترول :

عفافة نفس مع بديع محاسن
ورقة أعطاف فلله كم تسبي !
لقد جمعت ضدين في حد ذاتها
ففي اللحظ ايجاب يشير الى السلب

أما غزلها فهو الوجه الآخر المناقض لرثائها ، لان كلا الفنين يقوم على العاطفة الرقيقة والوجدان الحي المنصهر ... انه صدى لحبها العميق ، وتأثراتها الداخلية فلنسمعها تقول :

بذكر المعاني هام قلبي صبابة
فيا نور عيني هل أكون على القرب
عسى الشمس في مرآك للعين تنجلي
فتنقل للابصار ما حل بالقلب

ولنسمعها تشطر احدى قصائد الغزل الشهيرة ، والتشطير كان (موضة) ذلك العصر وما قبله ـ فتصف أفاعيل الغرام بالمغرمين ، وثبات بعضهم على الحب لا يروم لسنته تبديلا :

« للعاشقين بأحكام الغرام رضا »
يمسون صرعى به لم يأنفوا المرضا
لا يسمعون لعذل العاذلين لهم
« فلا تكن يا فتى للجهل معترضا »

***

« روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا »
ذاك الذمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا
« عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا »
« قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا »
وكان يزعم أن الموت قد فرضا
أصابه سهم لحظ لم يبال به
« فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا »
« رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا »
فما ابتغى بدلا منهم ولا عوضا
تقطع القلب منه بانتظار عسى
« فسام صبرا فأعيا نيله فقضى »

لم يكن في وسع مريانا أن تكون غير ما كانت ، لان طبيعة العصر فرضت عليها أن تتقوقع ... أن تنظم في نفس الموضوعات التي ينظم بها الآخرون ، وأن تسير على نهجهم لا تحيد عنه قيد شعرة ... تكرر ذاتها ليس لان الجرأة كانت تعوزها فحسب ، بل لان الجمود السياسى فرض عليها نوعا من الجمود الثقافي والفكري والعقلي ... ولعلي لا أكون مخطئا اذا قلت ان السياسة التركية الشوهاء خلقت لونا من « الشعر الالهي » الذي يدعو الى تمجيد الخالق وتعظيم الانبياء والقديسين عسى أن يفرجوا أزمة الحكم ، ويحلوا وثاق الشعب المغلوب على أمره ، ولا غرو فالله ملجأ كل ملهوف ومضعوف ، ومثاب كل مضطرب حائر ، ومغيث كل مكروب خائف .. ولو رجعنا الى دواوين شعراء عصور الانحطاط لرأيناها تطفح بالقصائد الدعائية والابتهالية ... حتى لتوشك أن تكون تسابيح وصلوات ترتل في الكنائس والمساجد ، مع العلم أن معظم الذين كانوا ينظمون هذه القصائد ليسوا من رجال الدين ، قالت مريانا في ذكر باريء الخلق :

الله أكبر أنت الحي والصمد
مقصود كل البرايا واحد أحد
لا ينعم المرء في الدنيا بلا أمل
فالوعد منك وأنت العون والمدد
ان قل رزق فأنت الفضل أوسعه
أو حل بؤس فأنت الرفق والعضد
وكل من رام شيئا من سواك غوى
ولا يقر له حال ولا سند
اذا مددت يدا في يوم معركة
فتخمد النار والابطال ترتعد

يا مبدع الكون يا مهدي الانام الى
سراط حقك ان ضلوا فيرتشدوا
يا من يجيب نداء المستغيث به
يا من عليه جميع الناس تعتمد

وقبل أن أنفض يدي من هذه الدراسة لابد أن أشير الى ضرب أخير من شعرها ، كان بمثابة حجر الغلق في مدماك البناء الشعري ، أو هو الحلقة الذهبية التي لا تتم دورة النظم الا بها ، تلكم هي الحكمة ، منسرح نظرات الشعراء في الحياة ، ومنطلق آرائهم الفلسفية .. انها القالب الذي يصب الشعراء فيه تجاربهم ، أو الاناء الذي يستوعب اختباراتهم .

تقول الشاعرة :

شرف الفتى عقل له يسمو على
كل الورى فينال غايات المنى
وكذاك حسن الخلق فخر مسود
متسربل بالعطف نعم المقتنى
والمرء ان شهدت له أفعاله
بالفضل والآداب يكتسب الثنا
ما كل من طلب الكرامة نالها
من رام صيد الظبي حل به العنا
ذو المال يذهب ذكره مع ماله
لكن ذكر الفاضلين بلا فنا

ان ضيق المجال يضطرنا للوقوف عند هذا القدر من شعر مريانا مراش ، ولو اتسع لاوردت نماذج أكثر من كل فن تدل على طول باعها وسعة أفقها في دنيا القريض .

لم يصف الدهر لمريانا كل الصفاء ، فبعد أن فقدت أخاها ـ الذي كف بصره ـ وأباها وأمها تسلطت عليها الادواء حتى أفقدتها صبوتها سريعا ، وصبغت وجهها الزاهي بألوان الموت ، لكنها كانت تتغلب على يأسها بلمسات رقاق من بيانها الساحر ، فتشيع في نفسها الامل بالبقاء مدة أطول ، الى أن انتزع الموت آخر سهم في كنانتها عام ١٩١٩ .

ان مريانا مراش وماري عجمي وجهان كلاسيكيان أصيلان لمعا في فلك الشعر النسائي في سوريا كما لمعت وردة ووردة الترك في لبنان وعائشة تيمور في وادي النيل .

عيسى فتوح



مع الدكتور رفيق الصبان
مؤسس ندوة الفكر والفن بدمشق

... الآن أكتب عن فنان موهوب ، عن نابغة مبدع أعطى ويعطي ثمرات فكره المتوقد ونبوغه المضيء ... أكتب عن عصامي كبير ممنح ، ويمنح ضوء عينيه ، وزغردات قلبه الاخضر ، وحيوية شراينه الشابة الفتية الى وطنه ... أعطاه كل ذلك بصمت جليل وسكون كما يعطي الكرم الخصيب عناقيده البلورية الصافية ، وكما يعطي الحقل سنابله الشقر الممتلئة خيرا وبركة ، وكما تعطي البساتين تفاحها المترع بالحلاوة ...

أكتب عن فنان مبدع فيه من فصيلة النسور صفة الترفع والاقدام ، والصعود قدما نحو القمم ، نحو الاعالي الصافية الطهور ...!

في خفق جناحيه الكبيرين تنطوي عوالم من صنع الليل والرجعة والصقيع ، وتبدو للعيان عوالم أخرى من عمل الشمس والتقدم والربيع ...

أكتب عن كبير يعد منارة بين الرجال العصاميين الكبار الذين شقوا طريقهم وأثبتوا اقدامهم ، ونشروا أجنحتهم في الفضاء الطلق رغم أنف الاعاصير .. أكتب عن .. الدكتور رفيق الصبان .. خالق المسرح السوري الجديد !!.. وما رافق ذلك من ايمانه بالمسرح ، والمسرحيات التي قدمها ، الى آخر ما هنالك ...

ايمانه بالمسرح :

والدكتور رفيق الصبان يؤمن ايمانا عميقا بأن المسرح ضرورة كالماء والهواء والعشب ، وهذا الايمان هو الذي دفعه الى تغيير منهجه في الحياة ، منهجه الذي كان مرسوما له . فعوضا عن أن يكون موظفا اداريا في مركز مرموق ، أراد أن يصبح انسانا تتقاذفه موجات متعددة . أحيانا ترفعه ، وأحيانا تسقط به . لكنه في شتى الحالات يكون مغتبطا مسرورا لكونه جعل لحياته هدفا كبيرا واضح المعالم والسمات . وهذا الهدف هو أن يجعل من بلاده ذات السماء الزرقاء الصافية ، بلاده المشرقة الخيرة ، بلادا تحب المسرح وتعشق الاقنعة الملونة وتنفعل للضربات الثلاث التقليدية (ضربات المسرح عند رفع الستارة) . لذلك اتجه الى المكان الوحيد الذي ظن بادىء الامر انه يخلق المسرح . ويعني الميدان الرسمي في وزارة الثقافة . وبالفعل استطاع أن يضع اللبنة الاولى في تحقيق وانشاء فرقة رسمية تحمل اسم الدولة وتقدم روائع الاعمال المسرحية ، (الفرقة القومية) .. واستهلت الفرقة انتاجها ، بمسرحية يونانية ، لاريستوفان بعنوان : براكساجورا ، أو مجلس النساء .

وانقسم المثقفون بعد عرض هذه المسرحية الى

قسمين : قسم يؤيد الدكتور صبان على بياض ، ويؤمن معه ان طريق المسرح الحقة هي هذه الطريق ، ولا شيء سواه . وقسم ثان يهاجم ويطعن ويقول مدعيا ان جمهورنا الذي لم يعرف المسرح بعد ، يعجز عن فهم ، وعن الانفعال بأعمال مسرحية تتطلب من المشاهد رصيدا ثقافيا سابقا . (ويمكننا أن نقول ان معركة براكساجورا كانت بالنسبة للمسرح السوري كمعركة هرناني بالنسبة للمسرح الفرنسى) .

المسرحيات التي قدمها :

واستمر الدكتور صبان سائرا في طريقه معاندا ، مثابرا ، في اتجاهه . فقدم مسرحية معقدة لتوفيق الحكيم بعنوان (الخروج من الجنة) . اتبعها بثالثة لالبير كامو بعنوان (العادلون) . وكانت المعركة بين المثقفين تستمر عقب كل مسرحية له . فأنصاره يزدادون حماسا ، وخصومه يحتدمون ، ويزدادون ضراوة ..

وشاءت بعض الظروف الادارية القاسية أن ينشب خلاف بين المسؤولين الجدد في مديرية الفنون بوزارة الثقافة وبين الدكتور صبان حول نوعية الاتجاه الذي يجب أن تسير عليه الفرقة القومية . وأصر الدكتور صبان على رأيه مؤمنا ان ليس هناك في المسرح أعمال صعبة وأعمال سهلة . وانما هناك أعمال جيدة وأخرى رديئة . وان طريق المسرح يجب أن تبتدىء بقوة ، وان أي تراجع يعني الاندحار والفشل . وأصر المسؤولون في وزارة الثقافة على رأيهم .. وكان من نتيجة ذلك ، أن ترك الدكتور صبان وزارة الثقافة ليعمل في ميدان حر طليق هو ميدان (ندوة الفكر والفن) المكونة من نخبة من فناني دمشق ومثقفيها .

وكانت باكورة أعمال الندوة عملا مغرقا في صعوبته ونبله ومرماه . ألا وهو (انتيغونا) لسفوكلس . وبالطبع أثارت هذه المسرحية ضجة ما بعدها ضجة ولفتت الانظار الى الدكتور صبان والى ندوة الفكر والفن ، هذه الندوة التي عينت اتجاهها بشكل لا نقاش فيه ولا جدال .

ومن عجائب الامور أن تنجح هذه المسرحية نجاحا شعبيا كبيرا أكد أقوال الدكتور صبان من ان المسرح مهما كان صعبا فانه يجد الرواج المطلوب اذا قدم بصورة لائقة .

واتبعت (انتيغونا) بمسرحية لشكسبير بعنوان : (الليلة الثانية عشرة) أو ـ ليلة الملوك ـ وكان نصيبها من النجاح الشعبي هذه المرة مغرقا لدرجة ثبتت فيها دعائم المسرح الكلاسيكي بصورة نهائية في هذا البلد .

وكأن هذا النجاح المتواصل قد شجع الدكتور صبان على أن يمضي قدما في اتجاهه المسرحي هذا : فقدم بالتوالي : مسرحية ماريغو (الاعترافات الكاذبة) ، ثم مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير . وأخيرا (رجل الاقدار) لبرنارد شو .

ازدياد الانصار :

ومن الملحوظ ان الفئة القليلة التي وقفت بجانب الدكتور صبان في مطلع طريقه قد ازدادت وكثرت حتى أصبحت تضم العدد الكبير من مثقفي هذا البلد . وهؤلاء الانصار يؤمنون بموهبة الدكتور صبان ، هذا الفنان الشاب المبدع ، العصامي . الذي آمن منذ البدء بفكرته عن المسرح ، والتي حققها رغم الصعوبات المادية والمعنوية التي وقفت ، ولا تزال تقف في طريقه .

النقاط المهمة في اتجاه الدكتور صبان ، المسرحي :

ان من ينظر نظرة ناقد ، الى اتجاه الدكتور صبان المسرحي يلاحظ نقاطا عدة تثير الانتباه :

١ ـ ابتعاده عن الادب المحلي ولجوءه الى روائع الكلاسيكية . وحجته في ذلك اننا ، كي نتمكن من ان نجلب الطبقة المثقفة الى المسرح وتميل الى تعشقه ، علينا ان نغريها بالاسماء الثقافية الكبرى . وبنوعية الانتاج وكثافته . كما اننا كي نربي جمهورا مسرحيا ، علينا ان نكون على طريق اطلاعه على شوامخ المسرح العالمي . فيستطيع بعد ذلك ان يكون حاكما صالحا على الاعمال المسرحية المعاصرة التي تعرض امامها .

٢ ـ ابتعاد فرقته عن المحترفين من الممثلين ، ولجوءه الى فئة من مثقفي الجامعة ومن فتيات الاسر الكريمة . مما ساعد الى حد بعيد على تنقية الوسط الفني وعلى الارتفاع بمستوى العاملين فيه .

٣ ـ تأثره بالطريقة الفرنسية في الاخراج ، التي تعتمد على التوتر الحركي وعلى الانفعال الداخلي الحاد . وهي طريقة قريبة جدا من مفهوم النفسية الشرقية أكثر بكثير من الطريقة الانكلو سكونية أو الاميركية التي تعتمد عموما على أساليب الميلو درام والبرود .

٤ ـ اعتماده على كبار الرسامين في بلدنا ، في انشاء ديكوراته وتلوينها ، مما يجعل الناظر الى مسرحية الدكتور صبان يشعر انه امام لوحة زيتية متحركة . تحمل طابع رسامها ومسؤوليته .

٥ ـ ادخال الموسيقى المحلية المؤلفة خصيصا للمسرحية كمرافق موسيقي . ولعل ذلك يعود الى الصلة التي تربط الموسيقار المبدع الاستاذ صلحي الوادي بندوة الفكر والفن ، عموما ، وبالدكتور صبان خصوصا .

٤ ـ لقد غدا المسرح بالنسبة للطبقة المثقفة ميدانا مأهولا تذهب اليه وتنفعل به وتتحمس له بعد ان كان مقصورا على طبقة شعبية صغيرة لا ترى فيه الا ميدانا للضحك والتسلية والترفيه .

ويمضي الدكتور رفيق صبان نحو اهدافه الانسانية الكبرى ، متابعا جهاده المقدس ، ضاربا شرفات النجوم بأجنحة ايمانه الفني ، القوية ، متساميا فوق اودية السخف والتفاهات والجهالة ، مشرعا جبينه المشرق في وجه الشمس ... متحديا العواصف والاعاصير .. ويخلق حيوية في النفوس تزيد العقول نورا ، والقلوب ضياء ، وتحض على العظمة بأجلى وأرفع معانيها ... العظمة ... هذه الكلمة المجنحة المضاءة بألف ضحكة من ضحكات النجوم ، الموشاة بألف حكاية من حكايات القمر ...

(المحرر)

صدر حديثا عن دار الآداب في بيروت

عيناك قدري

مجموعة قصص للاديبة المعروفة

غادة السمان

تجدونه في سائر المكتبات العربية

الثقافة في المجر

بدأت خلال السنوات الاخيرة الرغبة بتحصيل الثقافة في هنغاريا تعطي ثمارها وربحت جماهير غفيرة . والامثلة تكثر . والقراء العاديون للمكتبات النقابية المصنعية يزدادون سنويا بين العشرين والخمسة وعشرين الفا .

ان مئات الالوف من المتفرجين يحرصون في بودابست على مشاهدة الاوبرا والموسيقى السنفونية المرفقة بمحاضرات .

وأخذت الاكاديميات العمالية تباشر أكثر فأكثر عملها حيث يقضي الطلاب هناك سنة او سنتين في صفوف ذات مواضيع تتعلق بثقافتهم وفائدتهم . كالاعمال التكنيكية والعلمية وغيرها .

وليس فقط العمال والفنيون وحدهم الذين يهتمون بهذه المواضيع بل اصبحت تجد صدى رحبا بين جماهير الشعب كله .

لقد أصبحت الفنون والثقافة في هنغاريا ذات طابع شعبي وأخذت دور النشر تطبع الآداب الهنغارية والعالمية بطبعات شعبية ليتسنى للجميع ان يستفيدوا منها .

وأخذت المعاهد الليلية للتعليم العام تستقبل طلاب الدراسة للصفوف الثانوية والعالية ويقدر الطلاب الليليون بـ ٢٢٠ الف طالب يافع لهذا العام .

وهنغاريا التي تحرص على هذه المكاسب الثقافية في بلادها وفي العالم اجمع تنشاد الضمير العالمي بالتوقف عن التسابق للتسلح وخاصة بعد اعلان الولايات المتحدة عن تفجيرها لـ ١٨١ قنبلة ذرية .

وفي مجال الفنون فقد قطعت هنغاريا اشواطا بعيدة وكمثال نستطيع ان نستشهد بالسينما الهنغارية في الخارج .

ففي صناعة السينما المتوفرة في ستين دولة والمستقطبة لـ ١٨٠ الى ٢٠٠ مليون متفرج يشاهدون سنويا الافلام الهنغارية وقد احتل فيلم (الباريجيا) المعروض في السنة الماضية وبطلته الممثلة السوفيتية (تافينا ساموالوفا) مركزا مرموقا وتهافت على شرائه خمس وعشرون دولة وعرض ليس فقط بالدول الاشتراكية وانما في انكلترا وكندا والبرازيل وكثير من دول شمال افريقيا وايطاليا وفرنسا وايران .

والجمهورية الكوبية تعتبر من اكثر البلاد اهتماما بالفيلم الهنغاري فقد عرضت ثلاث وعشرين فيلما طويلا و ١٢ فيلما عاديا .

ومن الافلام المعروضة اخيرا عرضت في روديسيا ونياسيلاند وزيلاندا الجديدة وكينيا وبرمانيا وهونكونغ



صورة طريفة لطابع مجري طبع منه ١٢٥ الفا يمثل رواد الفضاء الثلاثة غاغارين وتيتوف السوفيتيان وغلين الاميركي

وكولومبيا وغيرها . وفي عام ١٩٦١ عرضت الولايات المتحدة الاميركية اربع في بلادها .

وفي مجال التلفزيون فكثير من البلاد الكبرى تعرض أفلاما على شاشتها التلفزيونية من صنع استوديوهات بودابست وعلى سبيل المثال فقد عرضت ايكوسيا ٢٤ فيلما وايطاليا ٢٦ وغيرها .

ان هنغاريا التي ذاقت من ويلات الحرب وبدأت الان تحتل مكانتها في العالم لا تألو جهدا في سبيل العلم والتحضير له وهي تبذل كل امكانياتها في هذا السبيل حتى لا يبقى عامل او فلاح أو أحد من جماهير الشعب لا ينهل من مناهل العلم والمعرفة .

وقد خصصت في سبيل ذلك الكثير من الجهد والمال .

واذا علمنا ان ٢٧٪ من مخصصات الميزانية الهنغارية مكرسة للحاجات الصحية والثقافية للشعب الهنغاري وفي عام ١٩٦٢ صرفت هنغاريا وسطيا كنفقات للتعليم

١٫٢٥٥ فلورين كلفة للطالب العادي

٣٫٨٨٢ فلورين كلفة للطالب الثانوي

٤٫٧٠٠ فلورين لطالب الصناعة الحرفية

٢٣٫٤٠٠ لاعمال وكلفات الطالب الجامعي .

وخصص أكثر من مليارى فلورين للعلوم .

ان هنغاريا ترغب رغبة أكيدة باقامة علاقات ثقافية مع الدول المحبة للسلام . والحرية .

وترحب بالعلاقات الثقافية والفنية مع الجمهورية العربية السورية وشعبها المناضل .



صدر عن دار دمشق

اديب تنبكجي

دمشق شارع بور سعيد



دراسة نقدية حول ديوان :

عتابنا غزل

في ديوان « عتابنا غزل » مزيج متلائم من الكلاسيكية والرمانطقية ، والجمالية .

في شعر محمد كناكري صفاء الريف ، وبساطته ، وعفويته .

اللفظة في « عتابنا غزل » تحمل شحنات من الاحاسيس ، والعطور ، والرعشات .

« الاخلاقية الموروثة » تصطرع مع وحش الجنس في الديوان .

التصوير ، والتعبير متلائمان ، متزاوجان ، والفن طري ، غرير ناشيء في طريقه الى التكامل .

★ ★ ★

الطليعة المتفتحة من شعرائنا الشباب تبشر بخصب وعطاء ، ويلوح لها الغد بغاره ، ورياحينه .

هذه الطليعة عاشت أحداث تاريخها ، وتمثلتها ، بما فيها من قسوة الواقع ، وخوف المتوقع . ومما يتعاورها من قلق ، وضياع ، وحرمان ، وتمزق .

وفي الذؤابة من هذه الطليعة يطل الشاعر محمد كناكري .

لم تستأثر بهذا الشاعر مدرسة معينة ، لم يقيده مذهب متمايز ، ولم يجتذبه تيار خاص . ففي صوره ، واسلوبه كلاسيكية مرنة ، متطورة .

أي خمر تدفقت لست أدري
أي كأس تحطمت في يديا ؟؟
و.. قربيني اليك لا لا تخافي
نظراتي ، وتمنعي راحتيا

والرومانطقية عنده تشكل جسرا متماسكا بين الكلاسيكية ، والابداعية .

كيف لا أرسل شعري غنوة
تتغناها شفاه الأزل
و.. عشت كالليل مظلم الروح اجـ
تر اضطرابي ، أرى الوجود خليا

والجمالية في ديوان « عتابنا غزل » لا تسلمك الى عدمية التصور ، ولا تلقي بك في ضبابية الوهم .

لرحلتنا في ضباب الضبا
ب ، الى الطرق الثرة العاتمه .
و .. تقول لي ، كلما غرقنا
بقبلة حلوة المشيب

وهذا كله يعود الى المذاهب الادبية ، وتلاقي الثقافات المختلفة ، والتيارات التي تجتاح الفكر العربي المعاصر .

على انه من نفيلة القول : ان الاصالة العربية في شعره تبسط ظلالها ، وتنتظم في عقدها هذه التيارات الفكرية المتباينة .

وفي شعر محمد كناكري صفاء الريف ، وبساطته ، وعفويته ، وقديما قيل : « انه من الصعب ان نكتب شعرا سهلا » .

وانك اخطأت ، اخطأت لما
شغفت بحب فتاة صغيره

... تودني ، وأودها ، وأرى
أهلي بها ، وترى بي الأهلا

واذا مررت بحيها ، هتفت
أهلا .. فردت مقلتي .. أهلا

انه على الرصيف المقابل – كما يقال – لشعراء المدينة ، خياله طليق ، مطمئن ، وخيالهم مرهق ، مكدود ، يتسع الخيال عندهم ، ويضيق ، كضباب صبيحة نشيطة النسمات ، او دخان سيجارة مجهد ، نزق ...

واللفظة في شعر محمد كناكري عالم جمالي ، مخملي الرفيف ، يحملها شحنات من الاحاسيس ، والعطور ، والرعشات ، الزاخرة العاطفة الجياشة ، العارمة .

وفي شعره الشباب ، شباب هذه المرحلة من التاريخ العاج بالمتناقضات ، فهو يعنف احيانا فيبلغ مدى التمزق ، ويهدأ أحيانا فيدرك غاية الحكمة .

★ ★ ★ ★

ولنا ان نتساءل : ما هي القضية في شعر محمد كناكري ؟؟

القضية – على ما ارى – هي الجمال ... الجمال في مظهره الاعلى ، جمال المرأة ، وما ينشأ عن هذا الجمال من لهفة وتعطش ، وتحرق .

وحياتي – يا حياتي – كلها
غزل ، في غزل ، في غزل

... أو هل أكف عن التي زرعت
في مهجتي شوقا لها نهما ؟؟

أما مشكلته ، فهي مشكلة « الجنس » هذا الوحش الرهيب الذي يفترس أعصاب الشباب ، في هذه المرحلة من العمر ، وينهش في اعماقهم بضراوة .

كم مرة أوصدت بابك في
وجهي ؟؟ وكم عاودت مقتحما ؟؟

ولكن وحش الجنس في شعر محمد كناكري يصطرع مع « اخلاقية موروثة » تشد على خناق هذا « التنين » المخيف كلما هدر في دم الشاعر .

عشت والكبت توأمين ، فاما
ردت حلما ، غفا على مقلتيا !!

... ليست لنا في حبنا قصة
فيها لسان السوء ينطلق

ليست لنا حتى ولا قبل
يصبو لهن الثغر ، والعنق

ليست لنا الا أضالعنا
للبوح ، للافضاء ، تحترق

لا ضير فالحب البريء رؤى
خضراء ، كالارواح تعتنق

فالحب ان لم يسم صاحبه
أو ينه عن تدنيسه خلق

كالورد – بعض الورد – حيث له
برد ، وليس لبرده عبق

ومع هذه الاخلاقية « المتزمتة » فالكناكري ، وصاحبته « ساديان » يلذه العنف ، ويلذها ... الصفع .

يقيم الدليل على حبه
بصفعي اذا لمته صفعتين

وكنت قبيل توعده
أنقب .. أبحث عن كلمتين

أثـيـر حفيظتـه بهمـا
فيهوي عـلـي بكلتا اليـديـن

وبين هذا الجوع الناهش ، والظمأ الشاعر « والاخلاقية » الضيقة يترجح شباب محمد كناكري متمرمرا ، وتتعاوره أعنف الهزات الوجدانية ، والعاطفية الصاعقة .

انها مأساة الجيل الطالع تعانيها ، وتجترها وتصلاها هذه الفئة الشاعرة ، التي تسحقها التقاليد بأقدامها الفولاذية ، وتمر فوق اشلائها ساخرة ، مقهقهة .

★ ★ ★ ★

القيم التعبيرية ، والتصويرية في الديوان متلائمة ، متزاوجة الى مدى بعيد ، والتلاؤم والتزاوج شرطان أساسيان في العمل الادبي .

والفن ... والفن طري غرير ، ناشيء في طريقه نحو « التكامل » .

وتستوقفك ـ بصورة خاصة ـ قصيدة « خمر » فهي تكاد تجمع خصائص الشاعر ، فجمال التعبير مشدودا موثوقا الى براعة الفكرة وسموها ، يساوق بينهما اطار فني أخاذ ، آسر .

يا فتنتي انا لم أعد شفة
تشكو ، تعربد ، تشتهي ، تعشق

انا لم أعد طفلا ...

وطفقت أنشد كل بارقة
حملي ، لنبع العالم المطلق

للشهوة الرعناء ... للكون ...

ولربما يوما أعود ، ولكن
ي أعود محطما ، مرهق

ولا يخلو الديوان ـ مع ذلك ـ من لفظة جاءت قلقة في البيت الهاديء ، او نافرة في المكان المطمئن ، كما في ..

١ ـ كل ما فيك .. قاع عينيك ، عفوا

٢ ـ لماذا حبيبي ؟ لماذا ؟ لاني
لاني احبك !! حتما لاني

٣ ـ قصة لم أعها ...

٤ ـ لشامتتي أجسد من صباها ...

فألفاظ : قاع عينيك ، عفوا ، حتما ، لا ترتاح اليها النعومة .

ولفظة « أعها » ثقيلة على اللسان لتوالي ثلاثة حروف حلقية .

و « شام » هي النظر الى البرق خاصة .

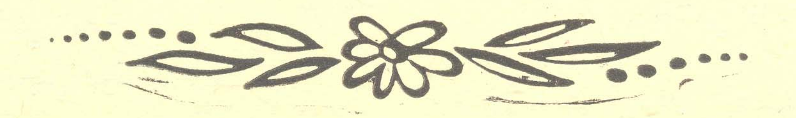
وفي قصيدة « عتابنا غزل » جاءت الابيات من بحرين مختلفين .

وأخيرا ان في ديوان « عتابنا غزل » الشعر .... الشعر الذي نريده ونتطلع اليه .

وان كان لي ما اتمناه فهو ان يوجه شاعرنا الشاب شعره جهة « المطلق » اخلاصا للفن ، ولا يتقيد بالمذاهب الاخلاقية الا بقدر لا يعق معه « الترف الفني » .

ان في اعماق نفسه الشاعرة كنوزا من الفن ، والجمال ، و ... الانسان .

حامد حسن



تاريخ مدينة حلب

ولماذا دعيت بهذا الاسم

للبحاثة في التاريخ الشرقي الاستاذ الياس بولس الخوري



اختلف المؤرخون في أمر مدينة حلب فمنهم من قال انها مدينة قديمة العهد يرجع تاريخ تأسيسها الى زمن النبي ابراهيم الخليل أي منذ أربعة آلاف سنة ومنهم من قال انها أسست بعد ابراهيم على حد قولهم بأن ابراهيم لما اتى الى تلك الارض لم يكن هناك مدينة بل وجد تلا فأقام له مسكنا عليه • والحقيقة ان تأسيس مدينة حلب يرجع الى اربعة آلاف وخمسمائة سنة اي بعد تأسيس مدينة دمشق بمدة خمسمائة سنة • هذا مما تأكدناه بعد دراسة طويلة وجهود جبارة حتى توصلنا الى معرفة تاريخ مدينة حلب وهاكم التفصيل من أسس مدينة حلب : ؟

ان الآرميين أسسوا مدينة حلب بعد ان أسسوا مدينة دمشق وبنوا قلعة في وسط المدينة على ذلك التل ليكون لهم مركزا حربيا اذا ما داهمهم الاعداء ودعوا هذه المدينة باسم (حلمان) او (حلفان) سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد كما قال العالمان سيكان وسميث اللذان اكتشفا هذه الحقيقة من الآثار الحثية • وقد بقيت هذه المدينة الآرامية تعرف بهذا الاسم مدة لا تقل عن الثلاثمائة سنة الى ان جاء الحثيون ابناء (حث) بن كنعان بن حام بن نوح وهؤلاء الحثيون نزحوا من ارض شنعار جنوبي جبل أراراط وعبروا جبال طورس وتوطنوا بجبال الامانوس اي اللكام • ثم قويت شوكتهم وحاربوا الاراميين في الشمال واستولوا على مدينة حلمان وتوغلوا في سورية المجوفة الى ان بلغوا آخر سهل البقاع وأسسوا لهم عاصمة قرب بحيرة حمص واسموها مدينة (قادس) ثم اسسوا مدينة حماه او حماتي ثم مدينة حمص ايضا وبنوا كذلك مدينة في أقصى الشمال واسموها مدينة (كركميش) ثم اعادوا بناء مدينة حلمان ودعوها (حلب) وهذه كلمة حثية معناها (قلب) او (وسط) لان مدينة حلب في اواسط الدولة الحثية اي ما بين جبال طورس شمالا وكركميش شرقا وقادس جنوبا وجبال الامانوس غربا • ومن ذلك اليوم اصبحت تعرف بمدينة حلب • ولما دخلت جيوش العرب بقيادة ابو عبيده الجراح دعوها الشهباء لان الناظر من بعيد الى مدينة حلب قبل المساء يراها بيضاء من الشهب المنعكس عليها خلاف كل مدينة لذلك دعوها بالشهباء واحتفظوا بالاسم الاول فقالوا حلب الشهباء • اما الخرافة القائلة بأن ابراهيم الخليل كان لديه بقرة شهباء يحلبها فقالوا ابراهيم حلب الشهبا فهذا القول لا يوجد له مسند من التاريخ •

تاريخ حلب السياسي :

ان الحثيين الـــذين اسسوا دولتهم في الشـــمال السوري قد أحسنوا الى سوريا وجعلوا لها حدودا طبيعية من جبال طوروس حتى مداخل الشام ويقـــال بأنهم استولوا على دمشـــق ايضا (وهذا القول غير مثبت في التاريخ) • وأسسوا مدنا كثيرة في سورية وجهـــزوا جيشا قويا منظما وأقاموا لهم ملكا اسمه (سابالت) وكانت عاصمته مدينة قادس • وقد جرت حروب كثيرة ما بين الحثيين والفراعنة وبقي الحرب سجالا بين الطرفين • وفي سنة الف وخمسمائة قبل الميلاد تصالح الحثيـــون والفراعنة وتزوج رعمسيس الثاني بابنة ملك الحثيين (كيناسار) وابرموا معاهدة سلام الى مائة سنة كما قال المؤرخ (مسبرو) و (لانرمان) وفي سنة الف واربعمائة قبل الميلاد قام رعمسيس الثالث ونقض المعاهدة وحارب الحثيين وانتصر عليهم وهدم مدينة قادس واخـذ ملك الحثيين اسيرا الى مصر • وبزوال مدينة قادس لمع نجم مدينة حلب لان الحثيين انسحبوا الى الشمال وجعلـوا مدينة (كركميش) عاصمة لهم القريبة ممن حلـب • ويقول العلامة جورج سميث الخبير بالآثار الحثيـة والاشورية بأن مدينة جرابلس بنيت على انقاض مدينة كـركميش العظيمـة التـي كان اليونـان يسمونهـا (هيرابولس) اي المدينة المقدسة وقد لفظها العـرب جرابولس • ثم ان الحثيين لموا شعبهم وحصنوا مدينـة كركميش وتحسنت تجارتهم واصبحت دولتهم من اغنى ممالك العالم فحسدهم الاشوريون وجرت لهم حـروب كثيرة مع ملوك الحثيين وامتدت الى سنة ٧١٦ قبل الميلاد واخيرا زحف (سرغون) ملك اشور على بلاد الحثيين وتغلب على آخر ملوكهم (بيزيريس) ونهب مدينـة كركميش الغنية واحتل حلب وسوريا بأجمعها •

الاشوريون والفرس واليونان في حلب :

ولما استتب الامر للاشوريين في سوريا وفلسطين توحدت البلاد واصبحت مدينة بابل عاصمة بلاد ما بين النهرين وسوريا ودعوها اشوريا وقد لفظها اليونـان اسوريا وفي الاختصار قالو سوريا • ثم تغلب الفرس على الاشوريين ودخلت حلب وسوريا تحت الحكم الفارسي حتى سنة ٣٣٤ قبل الميلاد • ثم استولى على ســوريا اسكندر المكدوني • وفي سنة ٣٢٤ قبل الميلاد اصبحت سوريا والعراق والاردن وفلسطين وفينيقيا من نصيب الملك (سلوقس) قائد الاسكندر واسس مدينة انطاكية وجعلها عاصمة البلاد واصبح عدد سكان سوريا يربو عن الخمسين مليونا من السكان • وفي سنة ٦٤ قبل الميلاد احتلها القائد الروماني (بومبي) •

العرب في حلب :

دخلت جيوش العرب سنة ٦٣٣ ميلادية مدينـة حلب وتغلبوا على يوقنا واخيه يوحنا أميري حلب وجعلوا مدينة قنسرين مركزا للجيش الـرابع العربي • وفي سنة ٩٤٠ ميلادية تولى ناصر الدولة ثم سبق الـدولة بن حمدان ثم ابنه سعد الدولة وكانت حلب عاصمـة الدولة الحمدانية وفي سنة ١٢٥٨ م اتى الطاغية هولاكو خان واستولى على مدينة حلب وهدم قسما كبيرا منها وفي سنة ١٤٠٤ م قدم التيمور لنك واحتل حلب وهدمها • ثم اعاد بنائها الملك الصالح فرج • وفي سنة ١٥١٧ م دخلها السلطان سليم العثماني واستولى على كافة البلاد العربية الى ان قيض الله للعرب الخلاص سنة ١٩١٨ م بدخول فيصل الاول بجيوشه العربية وانقذ سوريا مـن الحكم التركي • وفي عهد الانتداب الافرنسي امست حلب دولة مستقلة ولها علم • ولخروج الافرنسيين عن سوريا سنة ١٩٤٦ م عادت مدينة حلب الى الصدارة في الجمهورية السورية العربية وهي في تقدم مستمر زاهية زاهـرة الى يومنا هذا •

دمشق الياس بولس الخوري

جورجي ديمتروف

في الثامن عشر من حزيران ١٩٦٢ تحتفل بلغاريا بالعيد الميلادي الثمانين لحفيد بلغاريا الخالد للحركة العمالية وبهذه المناسبة تكلم احد كبار الكتاب البلغاريين عن قصته الحقيقية .

في الاجتماع الذي تداعى اليه الجميع على جسر صوفيا على صوت الخطيب جهوريا يخيم على المجتمعين الآتين من جميع الانحاء الى العاصمة لتحية النجمة الارجوانية لثورة تشرين .

اعتلى المنصة المكسوة بحلة حمراء ، عظيم جليل المظهر . انه منظم اضراب عمال السكك الحديدية . لقد القى حمما من نار على اعداء الصف وكان العمال يسمعون كلامه متعطشين الى المزيد .

أخذ الثلج بالتساقط على الجماهير المحتشدة وغطى اسطحة المنازل وظهر الاسود السود (جسر الاسود) . اعتلى حمال بأقدام عارية وحبل على ظهره احد الاسود وصاح بصوت مرتجف من البرد ليسقط رأس المال .

مئات الشرطة بألبستهم الزرقاء وسلاحهم المشهر نحو المحتشدين على استعداد للانطلاق كانوا مصفوفين على الجسر كانوا يصغون بوجوم وقائدهم يدمي شفته ويراقب الحمال بعين والساحة بعين اخرى .

تابع جورجي ديمتروف كلامه . نحن بصدد رسالة من رفاقنا في هنغاريا لقد كتب لنا اخواننا ان الكادحين هناك قتلوا من قبل اعداء الصف فقد سحلوهم وعلقوا المشانق والدماء يغرق الشوارع .

وذباحو الشعب يضعون المسامير بين أظافر ضحاياهم ويفقأون الاعين الناظرة الى المستقبل الذي يجب ان تتكاتف وتتعاضد لانقاذ الثورة .

— ليسقط القتلة .. ردد ذلك العتال .

لم يستطع قائد الشرطة التمالك وهجم على العتال يريد انزاله عندما تعالت الاصوات وتقدمت الجماهير كموجة عارمة نحو الجسر واخذ الشرطة يتراجعون عندما تقدمت الجماهير منهم واخذ القائد يطلق بفزع للارهاب فأصاب حصانه الذي اقعى على رجليه الخلفيتين .

شهر القائد سيفه وطلب من الجماهير التفرق احدا لم يغادر المكان وخيم صمت رهيب على الجمهور للاستماع الى صوت جورجي ديمتروف المدوي كالرعد .

عاشت ثورة اكتوبر صاح احدهم .

ولمعت السيوف المشهورة ودوت الاصوات الوحشية وأخذت بعض الطلقات تدوي في الفضاء عندما صاح صوت انقذوا ديمتروف ولكن ديمتروف تقدم يميل قليلا نحو الشمال مخترقا صفوف المتظاهرين وبدون ان يلتفت الى الوراء قطع الممر واخترق شارع (بوب بيجويل) ودخل شارع فيسليتس .

شاهد بابا من الحديد فدفعه ودخل الى غرفة مغطاة بستائر من الدانتيل مشدودة بنزق وعلى الارض بقعة من الثلج وطفل صغير يمضغ قطعة من الخبز الاسود كأنها قطعة من الوحل عندما دخل جورجي التفت الطفل ونادى امه .

— ولكن اين اباك . قال ديمتروف .

— هناك واشار نحو جسر الاسود السود .

غادر ديمتروف المكان بخفة ورشاقة ودون ان يترك اثرا استطاع الوصول الى مكتب المقر • خلع قبعته ، واشعل سيجارته واخذ يقول ان وزير الداخلية كان يعتقد بأنه سيمنع الاحتفال الثالث بثورة اكتوبر لقد حلم ولكن رجالنا اعادوه الى الصواب •

خيم سكون العمل على الجميع ومضت ثلاث ساعات لم يسمع خلالها الا زمجرة الريح وصرير الريش وصوت تقليب الاوراق •

وبعد الظهر اعلن السلم الخشبي عن وجود زوار وقبل ان يرفع ديمتروف رأسه شاهد في الباب ايفان ديلتشيف • الذي وجه اليه السؤال ما تفعل هنا يا ديمتروف انك بخطر حقيقي الشرطة تدور عليك وانت جالس بهدوء هنا •

ولكني هنا بأمان • ولكن كيف سنخرج •

ولكن لا اعلم •• ونظر الى ديمتروف نظرته الى الابطال العمالقة •

سكت ديمتروف •• لقد كان مخطط يتفاعل في رأسه •

– اسمع يا ايفان هناك عرس في براسنوسولو وانا مدعو لنذهب معا •

– موافق اجاب ايفان ولكن كيف العمل والشرطة في كل مكان وكل الناس يعرفونك من لحيتك •

سأخبئها اذهب الى الصيدلية واحضر ضمادا وارسل من يقودني •

لقد تحول البطل الى رجل مضمد سائر نحو المستشفى واختفى الصوت المعدني الذي كان يملأ الفضاء صياحا • وفي اطراف المدينة شاهدهما شرطيان • وسألهما الجريح ماذا تطلبون •

– ولكن من تقود توجه الشرطيان بالحديث الى الآخر •

انه شخص جريح • ولكن كيف جرح • في (تزاربرود) من قبل الصربيين الذين هاجموا القرية انه من هناك وقد هرب مع اخيه •

ولكن الى أين تقوده •• الى المستشفى •

تخلص الاثنان من الشرطة •• وابتعادا عندما انتصب الشخص الآخر وقال هل تريد شيئا يا رفيق ديمتروف • يا للشيطان لقد عرفني رغم التنكر ••

اذهب من هناك خلف المستشفى والى اليمين •

رحب العريس بذراعيه الممدودتين بديمتروف وقال عندنا كل ما يلزم من نبيذ وفراخ وجبن لم ينسني الاصدقاء •

قال ديمتروف اني آسف لاني حضرت صفر اليدين ولكن ما العمل •

قال العريس ان قدومك هو اجمل هدية •

رفع ديمتروف الضماد وتقدم نحو غرفة الاستقبال وعندما شاهده الرفاق القدامى وقفوا على أرجلهم كأنهم واحد مفسحين له المجال للجلوس بينهم •



السنونو الابيض

بقلم : يوردان يوفكوف

عندما كان موكنين يدعو كلابه عرف بأن هذا الفلاح المجهول آت اليه لسبب قاهر . طرد الكلاب ثانية واخذ يتأمل هذا الفلاح بسترته الحمراء التي تدل على انه من ابناء اقليم ديلي اورمان ، انه رجل قوي وزوجته ضخمة . ولكنه فقير . فقير منذ الولادة . يدل على ذلك عيناه وكان ثوبه وخراق ممزقين ويحملان الكثير من الرقع . كان حافي القدمين . تخاله للنظرة الاولى صلبا جلمودا ولكن موكنين عرف بأنه امام انسان وديع وكما يقولون يحسب حساب خطواته حتى امام نملة .

القى الفلاح السلام وتقيم بعض الاشياء كأنه يقول هل الحالة جيدة عندكم ولكن لا شك بأنه كان يفكر بأشياء اخرى خطيرة .

نظر امامه وقام بحركة بيده وسأل : هل قرية ماندجيلاري بعيدة ايضا .

وبعد ان اجابه موكنين على سؤاله شاهد على الطريق عربة مربوطة الى حصان استنتج بأنها ولا بد للفلاح الذي تركها في مكانها ليسأل عن الطريق .

كان في العربة امرأة مطوية يداها مخبأتان في ثيابها وشالها محمولا على رأسها لقد كان حقا حر ولكن موكنين يعلم بأن النساء لا يتركن شعورهن هكذا الا لامر جلل وفي اسفل العربة شاهد امرأة اخرى انحل ولكنها اكثر شبابا منددة وملفوفة بغطاء ورأسها مسند على وسادة بالية قاتمة . وكانت تنظر الى جهة اخرى حتى لا يشاهد وجهها .

– سأل موكنين هل عندك احد مريض .

– نعم ابنتي مريضة .

ادار الفلاح عينيه نحو الخراف المنصرفة الى قيلولتها ولكن عيناه لم تكن توحي الا بالقلق .



– لو أقص عليك اعباءنا ولكن الافضل ألا أتكلم سأله موكنين . ان لم تكن من هذه البلاد فمن اين انت .

– من قرية كوشوك احمد وهي الان تسمى ناديدجا ، انها هناك قرب الصخور لقد اتيت سابقا الى هنا فأنا بائع متجول اتنقل من قرية الى قرية ابيع ترابا للتنظيف . ولدينا منه انواع جيدة والنسوة تشتري منه . وعندما اصل البحر اشتري سمكا وعنبا او ما أجده واستطرد

الحمد لله اننا نعيش عيشة ليست بالسيئة لولا هذا الحادث السيء •

جلس الفلاح على الارض واخرج علبة التبغ الجلدية واخذ يلف سيجارة واخذ موكنين بعد ان جلس بقربه يتأمل اصابعه المضطربة •

ــ ليس لنا حظ من الاطفال لقد مات حتى الان ثلاثة وهم صغار ولم يبق لنا الا هذه والقى نظرة الى العربة • لقد رعيناها كما نرعى العين الرمداء • وانتزعت لقمتي من فمي لاكسيها كبقية الفتيات • ولتتيه بين قريناتها •

ولكن منذ وقت ليس بالبعيد اخذ الشحوب يدب اليها والنحول يمشي في اوصالها وقد سمعتها تشكو لامها الالم وهي ترى رفيقاتها وقد تزوجن وهي لا تزال بدون زواج •

لقد قلت لها مرارا لا يهمك لا بد بأن دورك آت لماذا تنظرين الاخريات انهن غنيات وشباب اليوم يفتشون عن الغنيات • ولكن ستتزوجين ايضا فلا تجزعي • فلا تزالين في ميعة الصبا •

ــ ولكن ما هو عمرها

ــ لقد بدأت تقترب من العشرين وستصبح بالعشرين من عمرها في عيد العذراء •

ــ اعتقد انها لا تزال صبية •

صمت الفلاح واخذ ينظر من جديد الى الخراف بدون ان يراها وبالقرب اخذ صوت صرصار يرتفع بهذا الهواء الحار •

ــ لقد رجتني هذا الصيف ان تذهب الى الحصاد مع الاخريات اننا فقراء وبحاجة لبعض النقود ولكن عندما رأيت علامات المرض بادية عليها لم ارد ان اسمح لها بالذهاب ولكن تحت توسلاتها ورغبتها بالذهاب مع رفيقاتها سمحت لها بالذهاب • لم اكن في الحقول لارى ما حدث • ولكن ما حدثتني به هو انهن نمن في الحقول بعد ان حصدن كل النهار • وتعشين ورقصن • وكذلك فعلت (مونكا) وهو اسم ابنتي لقد نمت يا ابتي وكنت مغطاة • وفجأة احسست بشيء ثقيل على صدري وفتحت عيني انه ثعبان •

ــ ما هذا الهراء •

ــ نعم انه ثعبان قد التف حول نفسه ونام فوق صدرها ، صرخت ابنتي ورغم خوفها استطاعت ان تقذف بالثعبان بعيدا •

اذن فقد قذفته وهذا ما يحدث كثيرا ايام الحصاد وقد سمعت ان افعى دخلت فم امرأة • ولكن الثعبان هل لسع ابنتك انه لم يلسعها •• أليس كذلك •؟

ــ كلا انه لم يلسعها لقد كان فوق صدرها لقد امسكته وقذفته بعيدا هذا ما قالته هي • فهل حلمت ام قالت الحقيقة لست ادري • غير انه منذ ذلك اليوم ساءت حالتها واخذت تذبل كالغصن انها تشعر بألم في صدرها وهي تردد دوما بأنها تتألم في نفس المكان الذي كان به الثعبان •

ــ قال موكنين مدهوشا يا لها من قصة : الى اين انت آخذها •

الى الطبيب ؟•

ــ الاطباء ! لا ادري كم زرت منهم حتى الان ورغم ذلك فاني ذاهب الى الطبيب • كيف اشرح الامر لو كان الامر يتعلق بي لما صدقت ولكن النساء •• وانت تعلم •• ورغم هذا انها ابنتي وهي مريضة •

أخذ صوته بالارتجاف • ثم سكت وحلم بالافق وبدأ يمسح شاربه وذقنه المخوطة بالشيب وعرف موكنين بأن هذه الشعرات ليست الا شعرات الهم والبؤس واستطرد الفلاح :

في المساء الآخر عاد بعض اهل القرية من الحقول وتحدثوا كثيرا وبأمور كثيرة •• انهم يمزحون ويضحكون •• انهم بدون هم •• لقد اسرعت ستوبتنزا الينا • انها امرأة ثرثارة تعلم كل شيء •• وهتفت من الباب •

ــ غونتشو • نونكا •• انكما لمحظوظان •

فسألتها ولكن ما وراءك •

فأجابت لقد عاد نقولا سيديروف من الحقول

ويقولون هناك بأنه ظهر في ماندجيلاري .. سنونو ابيض .. ابيض كالثلج .

ـ وماذا في ذلك .

ـ الا تعلم بأن السنونو الابيض يشفي من يراه حالا ومن كل الامراض وهو يظهر مرة في كل مئة عام ولذلك عليك بالاسراع يا غونتشو احمل ابنتك واذهب الى هناك . ولم استطع سوى الحضور .

قال موكنين هل هذا صحيح .. واين هذا السنونو الابيض .

ـ لقد قلت لك بأنه ظهر في موندجيلاري .

ـ ابيض .. تقول .

ـ نعم أبيض ناصعا .

ـ دهش موكنين والقى نظرة نحو الطريق فقد كان يجلس كل يوم هنا مع خرافه وخيل اليه بأنه لم يشاهد عددا يوازي هذا العدد من السنونو المرصوص على اسلاك البرق .. ومع ذلك لم يدهشه فعيد الصعود اقترب وفي مثل هذا الوقت تتجمع افراد السنونو وافراد القلق للهجرة للعودة الى البلاد الحارة .. لقد كانت اسلاك الهاتف تئن تحت وطأة اسراب السنونو .. ولكنها كلها سوداء .

استرد الفلاح رباطته قليلا وقال لموكنين لهذا اتيت الى هنا وعندما شاهدتك قلت لعلك رأيت او سمعت عن هذا السنونو .

ولكن موكنين لم يرد ان تفقد هذه العائلة املها فاستطرد . ولكن هناك ثيران بيضاء وفئران بيضاء وغربان بيضاء فلم لا يكون هناك سنونو ابيض . وطالما ان هناك من شاهده فلا بد بأنه موجود .

تنهد الفلاح وقال .. من يعلم .. انا لا اصدق ولكن النساء .. وانت تعلم ..

ونهض ليذهب ونهض موكنين لوداعه وليشاهد الفتاة . وعندما اقتربا معا من الطريق راحت الام (وهي امرأة شاحبة منهوكة من اعباء الحياة) تتفرس وجه زوجها لعلها تستشف منه خبرا .. وبقيت الفتاة تنظر اسراب السنونو .. المكومة على الاسلاك ..

قال الفلاح مخاطبا زوجته لقد قال لنا السيد بأن القرية اصبحت قريبة . استدارت الفتاة نحوهم بعد ان سمعت صوته لقد كانت نحيلة .. وجسمها يرزح تحت المرض حتى لتخال بأن لا شيء تحت الغطاء .. واصبح وجهها بلون الشمع ولم يبق لها من معالم الشباب الا عينان تلمعان .

قال الفلاح مخاطبا ابنته .. ان هذا الرجل رأى السنونو الابيض انه هناك في القرية وسنراه نحن ايضا .

قالت الفتاة بعد ان ومضت عيناها .

هل سنراه نحن يا عم ايضا .

أحس موكنين بغصة في حلقه وبغشاوة على عينيه وقال بصوت خافت وسترينه يا صغيرتي .. لقد رأيته انا فلم لا ترينه انت ؟

لقد رأيته بعيني . سنونو ابيض .. ناصع البياض . انك سترينه وسيمنحك الله هذه النعمة . سترينه وستبرئين يا صغيرتي فلا تخافي شيئا ..!

غطت الام عينيها واخذت بالبكاء وسعل الرجل الضخم خافيا تأثره وامسك بلجام حصانه متابعا طريقه .

قال موكنين :

حظا سعيدا .. القرية باتت قريبة .. اتبعوا الاسلاك الهاتفية .

بقي موكنين طويلا بعد ذهابهم يتبع العربة بنظره ناقلا بصره بين الام ومنديلها الاسود والفتاة المستلقية جانبها وبين الفلاح ذي القامة الفارعة وهو يسير بجانب حصانه يجره من لجامه وبين اسراب السنونو التي تحوم حولهم في المكان لتعود الى اسلاكها .

عاد موكنين الى قرب خرافه ليعود الى ذربالا من جلد الحصان .. واخذ يردد سنونو ابيض .. هل يوجد شيء مثل هذا .

احس بثقل فوق صدره وبهياج احاسيسه وترك المخرز يسقط من يده وصاح وهو ينظر السماء .

ـ يا رب كم من عذاب على هذه الارض . وعاد بنظره ثانية نحو العربة .

تشيكوسلوفاكيا بعد ١٧ عاما

سبعة عشر عاما مضت على اليوم الذي استطاع فيه الشعب التشيكوسلوفاكي أن يستنشق من جديد النسيم المضمخ بالعبير • ذاك اليوم يوم التاسع من ايار لعام ١٩٤٥ هو يوم الظفر ، هو يوم تحرير تشيكوسلوفاكيا على يد طلائع الجيش السوفييتي • انه انبعاث حياة جديدة وجديدة حقا •••

الا ان الذكريات ليست فقط مرتبطة بعبير زهر الليلك المتفتق • انها ليست فقط مرتبطة بالاحساس بالسعادة التي لا حد لها أو بالنشاط الذي يجوب الاوصال ••• هناك ايضا ذكرى لاتندرس ، ذكرى أولئك الذين قدموا حياتهم ذبيحة ليفتدوا حرية الوطن ، ذكرى أولئك الذين لم يستطيعوا رؤية طلائع التحرير ، ذكرى نساء ليديتسه اللواتي بدلا من بيوتهن عثرن على أكمة مقفرة على لافتة حولت هذه الكلمات « هنا كانت قرية ليديتسه » •

لقد اجتازت فعلا الحرب العالمية الثانية حدود تشيكوسلوفاكيا واستقرت فيها • وقد حارب المحتلون الفاشيون المندحرون رغم توقيع معاهدة التسليم غير المشروطة التي وقع عليها • انهم كانوا ينهبون ويحرقون ويخربون خلال انسحابهم • هكذا بلغت عملية التدمير شأوها •

لقد نهب المحتلون النازيون الاقتصاد التشيكوسلوفاكي خلال سنوات الاحتلال الست • لقد شوهوا بنيان الاقتصاد اذ ربطوه بمآربهم الحربية • لقد استنفذوا احتياطي المواد الاولية • لقد اهملوا تجديد حظائر الآلات • لقد ضنوا بالعناية بالبناء والالات واعدات لقد اقتادوا مئات الالوف من المواطنين التشيكوسلوفاكيين الى العمل في الرايخ الثالث ، الى العمل القسري تحت امرة هتلر وزبانيته • وقد نتج عن سوء تغذية المواطنين العزل ان ألمت ببنيتهم جميعا الاوصاب •

فقط في نهاية عام ١٩٤٨ نجحت تشيكوسلوفاكيا في تبديد نتائج الاحتلال ونتائج الحرب • ووصلت تشيكوسلوفاكيا بعد ذلك الى المستوى الانتاجي الذين كانت قد وصلت اليه قبل الحرب •

هذه أحداث علينا ان نذكرها قبل ان نبدأ بمقارنة النتائج المحققة حتى الان خلال تطور نمو تشيكوسلوفاكيا •

يقارن الاقتصاد التشيكوسلوفاكي الحاضر عادة مع مستواه في عام ١٩٣٧ ، أو مع مستواه في عام ١٩٤٨ • وقد اخذ عام ١٩٣٧ كقاعدة للمقارنة لانه هو العام الذي وجدت خلاله تشيكوسلوفاكيا البرجوازية القديمة فرصة نسبية مواتية وتسنمت أرقى مستوى عرفته •

وتعتبر الصناعة الفرع الاساسي والحاسم الذي يتحكم في الاقتصاد القومي التشيكوسلوفاكي • في هذا الميدان ومنذ انتهاء البرنامج الخماسي الثاني خلال عام ١٩٦٠ ، ضاعفت تشيكوسلوفاكيا الانتاج الكلي اربعة اضعاف اذا ما قورن بالانتاج في عام ١٩٣٧ ، وبنسبة ٣٧٢٪ اذا ما قورن بالانتاج في عام ١٩٤٨ • كما ان مستوى الانتاج الصناعي قد زاد ايضا في عام ١٩٦٢ بنسبة ٨٫٩٪ •

الى جانب النمو الشامل للانتاج الصناعي فقد حققت تشيكوسلوفاكيا ايضا تعديلات واسعة في صرح

الصناعة • لقد كانت تسود في الاقتصاد القديم الصناعة الخفيفة المعدة للاستهلاك وخصوصا صناعة النسيج • وان تصفية هذا الاتجاه الذي هو من طرف واحد كان قاعدة للاستقلال الاقتصادي •

في الحقل الثقافي :

وفي مستهل العام الدراسي ١٩٦١ – ١٩٦٢ بلغ عدد الطلاب المتخرجين في المدارس العليا ، دون ان يضاف اليهم عدد الطلاب الاجانب في تشيكوسلوفاكيا ، ١٤٠٠٠٠ طالب • ويبلغ عدد الطلاب الذين يتمون دراستهم الى جانب عملهم ٢٨٪ تقريبا • مقابل هذا الرقم لم يكن في المدارس العليا التشيكوسلوفاكية في عام ١٩٣٧ (أي في أوج النظام الرأسمالي وفي أوج البرجوازية) ٢٥٠٠٠ طالب • ويبلغ عدد الطلاب في المعاهد ذات الصبغة الفنية سبعة اضعاف ما كان قبل الحرب • ويبلغ عدد الطلاب في المدارس المهنية المتوسطة الان ١٢ ضعفا لما كان عليه قبل الحرب • وارتفع عدد المدارس العليا خلال الفترتين ، فترة أوج الرأسمالية والبرجوازية في تشيكوسلوفاكيا ويومنا هذا ، من ١٣ الى ٥٠ • كما ان الاستهلاك قد زاد بالنسبة لجميع المواد الغذائية الضرورية • وبدلا من سوء التغذية الذي كان يسود طبقات واسعة من السكان قبل عام ١٩٤٨ ، قبل انتصار الاشتراكية ، فقد اثير الان موضوع عكسي : فالاطفال التشيكوسلوفاكيون يشغلون المركز الثاني في العالم بالنسبة لما يزيد من وزنهم عن المعدل الوسطي • وهذا الوزن الفائض يسبب احيانا عملا فائضا على الاطباء ان يقوموا به •

أما في الميدان الثقافي فما انقطعت تشيكوسلوفاكيا وسوريا عن المسير يدا بيد في درب التعاون المثمر يوما واحدا حتى خلال الايام العاصفة التي تلت الثامن والعشرين من ايلول • فالتحق عشرة من الطلاب السوريين بجامعات تشيكوسلوفاكيا في كانون الاول عام ١٩٦١ بعد مضي ثلاثة اشهر على بدء الدراسة في جامعات تشيكوسلوفاكيا • ومنحت تشيكوسلوفاكيا خمسة مقاعد للعام الدراسي ١٩٦٢ – ١٩٦٣ للجمهورية العربية السورية • وستحاول حسب امكانياتها ان تزيد من عدد المقاعد التي ستوضع تحت تصرف الجمهورية العربية السورية في المستقبل •

ورأينا فرقة مسرح العرائس ، فرقة كارلوفي فارى المشهورة في العالم تزور دمشق رغم ان وجهتها كانت لبنان فقط • هذا كان اللقاء الثاني •

واللقاء الثالث كان على أرض الملعب البلدي حيث تنافس الاصدقاء التقليديون حيث تنافس فيه سبارتاك وفريق الجيش العربي السوري •

واللقاء الرابع سيكون في براغ بين عشرة أطفال سوريين وبين الاطفال التشيكوسلوفاكيين في عطلة الصيف • وقد قبلت سورية هذه الدعوة •

واللقاء الخامس سيكون في المعرض العالمي للطوابع المقام في براغ والذي قبلت سورية الدعوة اليه هذا العام •

والان اذ توضع خطوط الاتفاق الثقافي والعلمي بين البلدين نستطيع ان نقول أن عقد مثل هذا الاتفاق ليس الا ثمرة للتعاون الثقافي والعلمي بين البلدين •

وسيحمل التعاون في الميدان الصناعي والتجاري والفني ثماره في الامد القريب •

يدل على هذا التعاون بين الجمهورية الاشتراكية التشيكوسلوفاكية وبين الجمهورية العربية السورية الذي تزداد اواصره وثوقا مع الزمن •

ان تشيكوسلوفاكيا التي مدت يدها منذ القديم للتعاون مع سورية ، تمد نفس اليد لتشكر سورية التي تهنئها بذكرى التاسع من ايار عيد تحرير تشيكوسلوفاكيا•

الفنان اليوغسلافي دوشان فوكوفيتش

نال جائزة الاوسكار لعام ١٩٦٢

لأفضل فيلم من افلام الصور المتحركة

جائزة « الاوسكار » لافلام الصور المتحركة كانت هذا العام من نصيب الفنان اليوغسلافي « دوشان فوكوفيتش » .

الفيلم الذي فاز بهذه الجائزة العالمية التي تعد ارفع جائزة في عالم السينما ، يحمل عنوان « سوروغات » .

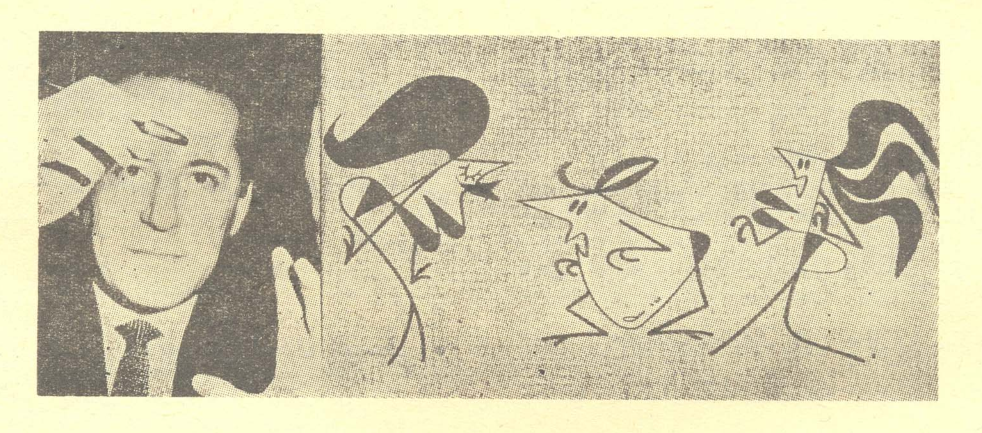
وفي انباء هوليود ان اللجنة التي تمنح الأوسكار — وعدد اعضائها ٤٠٠ — لم تبق ، بعد غربلة افلام « الصور المتحركة » سوى خمسة افلام كان عليها ان تختار من بينها الفيلم الذي يستحق جائزة الاوسكار لعام ١٩٦٢ .

عنيفة . وبعد تنافس شديد فاز دوشان فوكوفيتش على والت ديزني في ميدانه ونال الاوسكار لهذا العام .

وهذه الجائزة ليست الوحيدة التي نالها الفنان اليوغسلافي خلال حياته الفنية . فقد سبق له ان نال ٢٤ جائزة بين يوغسلافية وعالمية . ومن هذه الجوائز :

عام ١٩٥٦ — جائزة « ارين دور » اليوغسلافية تتويجا لانتاجه .

عام ١٩٥٧ — الجائزة الاولى في مهرجان « بولا » (يوغسلافيا) على فيلمه « الكاوبوي



وكان فيلم « سوروغات » اليوغسلافي الفيلم الاوروبي بين الافلام الخمسة المرشحة للجائزة . وهذه الافلام هي : « سوروغات » لدوشان فوكوفيتش ، وفيلم لوالت ديزني ، وثلاثة افلام من شركة « وارنر » الاميركية .

وقد قيل ان التصويت السري لمنح الجائزة لافضل فيلم من افلام « الصور المتحركة » قد اتخذ شكل معركة

جيمي » — وجائزة مهرجان برلين على الفيلم نفسه .

عام ١٩٥٨ — الجائزة الاولى في يوغسلافيا على فيلمه « برغام » على فيلمه « الاخذ بالثأر » — وجائزة مهرجان لندن على فيلمه « كونسير للرئيس » .

عام ١٩٥٩ – جائزة « الارين دور » اليوغسلافية تتويجا لانتاجه ، والجائزة الثالثة على فيلمه « البقرة على القمر » – والجائزة « ابراكدابرا » – والجائزة الاولى في الاولى في مهرجان سان فرنسيسكو على الفيلم نفسه .

عام ١٩٦٠ – براءة من الاكاديمية البريطانية للسينما تعلن ان فيلم دوشان فوكوفيتش «بوكولو» هو افضل فيلم من افلام الصور المتحركة عرض في بريطانيا عام ١٩٦٠ – ونال الفيلم نفسه الجائزة الاولى في مهرجان اوبرخاوزن في المانيا ، والجائزة الاولى في مهرجان بلغراد – وفي العام نفسه نال فوكوفيتش الجائزة الخاصة على فيلمه « بقرة على القمر » و « الاخذ بالثأر » في آنسيو ، وبراءة تنويه ممتازة على فيلمه « بيكولو » في مهرجان كارلوفي فاري في تشيكوسلوفاكيا ، والجائزة الاولى على الفيلم نفسه في « كورك » .

عام ١٩٦١ – نال لجائزة الاولى في مهرجان سان فرنسيسكو على فيلمه « سوروغات » ، وبراءة تنويه ممتازة بالفيلم نفسه في « برغام » ، وجائزة مهرجان المكسيك على فيلمه « بيكولو » ٦ وبراءة تنويه ممتازة على فيلمه «سوروغات» في مهرجان اوبروزخان بالمانيا وفي مهرجان بلغراد . واخر جائزة كانت جائزة الاوسكار للعم ١٩٦٢ على فيلمه « سوروغات » .

ولا يخفى في هذا المجال ان النقاد العالميين السينمائيين يلقبون دوشان فوكوفيتش « بثوري افلام الصور المتحركة » .

قالوا « اذا كان ثمة من جديد في افلام والت ديزني من حيث التعبير والرسم فان الفضل في ذلك يعود الى فوكوفيتش » .

اما المرسم الذي يعمل فيه مع معاونيه لتطوير الاسلوب التقليدي في دنيا افلام « الصور المتحركة » فيطلقون عليه اسم « مدرسة زغرب » .

وفي الصحافة العالمية يعلن بصوت عال : « لم يبق والت ديزني يسيطر على عرش الصور المتحركة » . ففي بلدان اخرى ثورة جديدة في هذا الميدان يتزعمها الفنانون اليوغسلاف » .

ومن اقوال النقاد العالميين : « ان فوكوفيتش قد اعطى – ويعطي – افلام الصور المتحركة اتساعا وتأكيدا الى حد أصبح معه الفيلم اليوغسلافي – في ميدان الصور المتحركة – محط انظار العالم » .

وابرز ما قيل في هذا المجال : « ان في افلام فوكوفيتش قوة ارادة اكيدة لابداع كائنات واشياء لها قيمة ثورية نادرة . فكل فيلم من افلامه هو تحفة فنية صغيرة » .

وآخر ما قيل : « ان مدرسة زغرب في ميدان « الصور المتحركة » هي اليوم ، بكل تأكيد ابرز مدرسة – او فريق – . ففي السابق كان الاميركيون والروس والتشيك هم اساتذة هذا الفن اما اليوم فان المجد هو ملك اليوغسلاف » .

وفي الواقع ، فان كل فيلم من افلام فوكوفيتش هو خلق أو ابداع جديد . وبكلام اخر ما من فيلم يشبه **الفيلم الاخر** .

وفوكوفيتش ، قبل ان ينال جائزة الاوسكار لهذا العام ، قد رشح لهذه الجائزة في السابق .

وللتدليل على مكانة هذا الفنان يكفي ان نذكر ان فيلم « سوروغات » قد بيع في اميركا بمبلغ ٨٢٠٠ دولار وهو اكبر ثمن دفع في اميركا حتى الان لفيلم اجنبي .

موكب العلم والحضارة

الثقافة في المانيا الديمقراطية

العلوم

تقوم بين الاكاديمية الالمانيـة العريقة للعلوم في برلين ، وبين المؤسسات العلمية الاجنبية والعالمية علاقات وثيقة ، اذ ينتمي اليها اكثر من ١٦٠ عالما من ابناء ٢٢ دولة كأعضاء مراسلين •

ويعمل النشاط العلمي في مضمار الابحاث على تيسير معالجة مهام الساعة الى حد بعيد ، وذلك في كافة النواحي الاقتصادية والتكنيكية والثقافيـة • وقد قامت كليات الاكاديمية منذ زمن ليس بالبعيد ، بتأسيس مجامع للابحاث ، تعمل على تطبيق نتائج ابحاث الاكاديميـة على النشاط الاقتصادي ، لكي تتحقق الاستفادة من هذه النتائج عمليا وبأسرع وقت ممكن • ومن اهم واجبات الاكاديميـة : مواصلة تطوير علوم كيميـاء البترول ، وتوسيع مجال استعمال النظائر المشعة ، وابتكار انواع جديدة من الخيوط الاصطناعية والمواد الصناعية الاخرى ، والقيام بأبحـاث في السرطان والمضـادات الحيوية •

وتعمل الاكاديمية الالمانية للعلوم الزراعية ، بفروعها واقسامها العشرة ، على تطوير وتحسين مستوى التعاونيات الانتاجية الزراعية ، عن طريق البحث العلمي عن طرائق جديدة لزيادة الغلة الزراعية في الهكتار الواحد ، وتطوير اساليب تربية الحيوانات والدواجن •

اما الاكاديمية الالمانية للعمران فتعمل على تطوير الاسس العلمية التكنيكية لاستخدام الاساليب الصناعية في العمران على نطاق واسع في الجمهورية الديموقراطية الالمانية • ومن القضايا التي تهتم بها حاليا مسألة التخطيط العمراني الجديد لمراكز المدن التي دمرتها الحرب في الجمهورية •

ومن أهم ما اختصت به الاكاديمية الالمانية للفنون اصدار مؤلفات الشعراء الالمـان الكبار • وقد قـامت الاكاديمية باعداد ارشيفات للشعراء ، وبتحضير مؤلفات الادباء لاصدارهـا في مجلدات جامعة ، ومن هـؤلاء الادباء والشعراء هاينريخ مان ، ويوهانس ر • بيشر ، وبرتولد بريخت ، وايريخ واينرت ، وفريدريك وولف ، وف • س • وايسكوبف • وكذلك فقد اقامت الاكاديمية الكثير من المعارض لفنون الرسـم الالمانية الجديدة ، ولفنون النحت والخط والتصوير في انكلترا والسويـد وفنلندا وهولندا •

وفي عام ١٩٥٧ شكلت الحكومة مجلسا اسمتـه مجلس الابحاث للجمهوريـة الديموقراطية الالمانيـة ، وله ٤٤ عضوا من كبار العلماء في شتى مجالات العلوم • ويقوم هؤلاء العلماء باعداد برامج تحديد اهداف الابحاث العلمية ومجرى تطورها العام ، ويبت مجلس الابحـاث في المسائل المتعلقة بكيفية انفاق الاموال التي ترصدهـا الدولة لشؤون التطور التكنيكي والعلمي في البلاد •

نظام التعليم

مدارس التعليم العام

يضع المجتمع الاشتراكي نصب عينيه ازالة الهـوة التي تفصل بين العمل الفكري والجسدي ولهذا فقـد

بدىء باحداث المدارس الثانوية الالزامية ذات الصفوف العشرة للتعليم العام والدروس البوليتكنيكية • وتستهدف هذه المدارس اقامة الاسس التربوية للعلاقة بين المدرسة والحياة ، ولا سيما بين المدرسة والانتاج الاشتراكي • وفي عام ١٩٦٤ سيداوم كافة اطفال الجمهورية على هذا النوع من المدارس او على المدرسة الثانوية الموسعة البوليتكنيكية ذات الاثني عشر صفا للتعليم العام •

ويتمثل النظام التربوي البوليتكنيكي الجديد باليوم الدراسي في مضمار الانتاج ، ويطبق هذا النظام بالنسبة لتلاميذ الصف السابع حتى الثاني عشر بصورة الزامية • ويلقن التلاميذ في درس الانتاج المواد الدراسية التطبيقية ومنها « المدخل الى الانتاج الاشتراكي في الصناعة والزراعة » و « الرسم التكنيكي » ومادة « الصنع المنتج » وغير ذلك من المواد النظرية المتعلقة بالعلوم الطبيعية ، ذات العلاقة الوثيقة بالتطبيق العملي •

وتساهم في معالجة المشاكل المدرسية لجان منتخبة تسمى « لجان اولياء التلاميذ » ومن اللجان الجديدة » اللجان البوليتكنيكية « التي ينتمي اليها معلمون وعمال ومهندسون وفلاحون تعاونيون • وتعمل هذه اللجان على تشجيع وتطوير التربية البوليتكنيكية ، وتقدم الاقتراحات حول كيفية تحسين الروابط التي تصل بين الدرس النظري وبين الدرس العملي في الانتاج •

ويعفى كافة التلاميذ في الجمهورية الديموقراطية الالمانية من دفع اية رسوم او اقساط دراسية ، وعلاوة على ذلك فان قسما كبيرا من تلاميذ الصف التاسع والعاشر يحصلون على مساعدات مالية تسمى «مساعدات تربوية » •

مدارس التدريب المهني

بعد ان ينهي الشباب تعليمهم الالزامي لمدة ثماني سنوات ، او عشر حسب النظام الجديد ، يبدأ بالنسبة لمن يود منهم العمل المهني ، تدريب جديد ، يتم في مدارس التدريب المهني ، التي تنظم مناهجها الدراسية بحيث تستطيع تدريب الشباب واكسابهم مهارة العمال الفنيين ، وبحيث تستطيع في الوقت نفسه خلق اساس من العلم والمعرفة لديهم يكفي لامكان تقدمهم في عملهم فيما بعد ، وتطويرهم الى معلمين حرفيين او تكنيكيين ، او لامكان متابعة تحصيلهم في مدارس الاخصائيين او المعاهد العليا • امـا في المستقبل ، فستكون الطريق الرئيسية المؤدية الى مدارس الاخصائيين او المعاهد العليا ، عبر المدرسة الثانوية ذات الصفوف العشرة للتعليم العام والدروس البوليتكنيكية ، وما يليها من التدريب المهني •

تدريب وتأهيل المتقدمين في السن

لكل شغيل الحق في الحصول على مواصلة تدريبه المهني وتعليمه العام ، كما ان امامه في سبيل تحقيق ذلك امكانيات شتى ، تشكل نظاما موحدا لتدريب وتأهيل الشغيلة المتقدمين في السن ••• ومن اهم هذه الامكانيات اكاديميات المعامل والقرى المنتشرة في شتى انحاء الجمهورية الديموقراطية الالمانية • وتعمل هذه الاكاديميات على التوفيق بين دروسها ومحاضراتها ، وبين اهداف العمال والموظفين على اختلاف افرادهم وفئاتهم ، بحيث يتاح لهم التوصل الى مستوى اعلى من الكفاءة المهنية ، او يتمكنون من متابعة الدراسة المباشرة او المسائية او بالمراسلة في احدى مدارس الاخصائيين او المعاهد العليا •

المعاهد العليا والجامعات

هنالك في الجمهورية الديموقراطية الالمانية ٤٤ من الجامعات والمعاهد العليا والكليات التي هي من مستواها ••• ويدرس في هذه المؤسسات العلمية حوالي ٩٥٫٠٠٠ طالب ، ثلثاهم من طلاب الدراسة المباشرة • وتبلغ نسبة الطلاب في الجمهورية الديموقراطية الالمانية ٥٦ من الطلاب لكل ١٠٠٠٠ مواطن (وقد روعي في هذه

النسبة ايضا عدد طلاب الدراسة بالمراسلة) . وتربط الجامعات بين نشاطها في مضماري التعليم والابحاث ، وبين التطبيق العملي ، بشكل متين وثيق .

وفي فترة السنوات السبع التي يشملها البرنامج الاقتصادي العظيم ، سيبلغ عدد خريجي المعاهد العليا ومدارس الاخصائيين ، حوالي ٢٩٦٫٠٠٠ خريج ، يباشرون اعمالهم فور تخرجهم سواء في فروع الاقتصاد الشعبي المختلفة ، او في النشاط المتعلق بالخدمات الثقافية والاجتماعية ، التي يكون من شأنها تحسين اوضاع السكان .

ومن المعاهد العليا التي انشئت حديثا في مضمار الهندسة والتكنيك المعهد العالي لصناعة الالات في كارل ماركس شتادت والمعهد العالي للكيمياء في لوينا ـ ميرزيبورغ ... وهما معهدان لهما اهمية كبرى .

وتوجه عناية كبرى للتدريب في مجالات كيمياء الاشعة ، والكيمياء الزراعية ، والكيمياء الحيوية ، والتكنيك النووي وتكنيك الاتمتة . وفي كل من الجمهورية الديموقراطية الالمانية تنشأ كليات جديدة ومؤسسات للابحاث ، لتطوير العلوم الطبيعية والزراعية . اما في مضمار الطب فتشن حملة واسعة ضد امراض التدرن والدمامل والخراجات وذلك عن طريق اجراء ابحاث جديدة ، ونشر ما وصلت اليه العلوم من المعارف .

ويدرس في الجامعات والمعاهد العليا بالدرجة الاولى ابناء العمال والفلاحين ، ذلك ان الدور القيادي للطبقة العاملة في الدولة الاشتراكية يتطلب العناية القصوى بتعليم ابناء وبنات هذه الطبقة ، الا من موهوبي الطبقات والفئات الاخرى من السكان يتمتعون بامكانيات واسعة للدراسة ايضا . ويحصل ٩٠ بالمائة من الطلاب على منحة مالية شهرية تقدمها اليهم الدولة ، لتظمن لهم دراسة لا تعكر صفوها الهموم المادية .

ويدرس في جامعات الجمهورية الديموقراطية الالمانية ومعاهدها العليا وعدد وفير من الشباب القادمين من شتى انحاء القارات الخمس . وهنالك في لايبزيغ كلية اسمها كلية دراسة الاجانب ، وهي كلية تابعة لجامعة كارل ماركس ، ويتعلم فيها الطلاب الاجانب ، اللغة الالمانية ، كما يجري هناك اعدادهم للدراسة في الكليات الاختصاصية الاخرى .

نشاط دور النشر

الكتب

في الجمهورية الديموقراطية الالمانية ٨٠ دارا للنشر ، وقد بلغ انتاج الكتب في عام ١٩٥٩ مقدار ٥٦٣١ مؤلفا ، نشرت بمجمعها على ٨٨٫٨ مليون نسخة . وفي مضمار فنون الادب البحت ظهر في ذلك العام ١٢٣٩ من المؤلفات على ١٦٫١ مليون نسخة . وقد طبعت في عام ١٩٥٩ كتب للقراء الشباب بلغ عدد نسخها ١٦٫٥ مليون نسخة ٦ يضاف اليها عدد الكتب المدرسية الذي بلغ ١٥٫٨ مليون نسخة . اما قصص الادب العالمي (من تأليف بلزاك ، ودرايزر ، ودوستويفسكي ، وديكنز .. الخ) فمتوفرة في الاسواق ، شأنها في ذلك شأن مؤلفات الادب الوطني الالماني (من تأليف غوته ، وشيللر ، حتى توماس وهاينريخ مان ، وبيشر ، وبريخت ، وسيغرز واخرين غيرهم) .

ومن اروع المؤلفات الحديثة التي اشتهرت في عالم الادب المعاصر رواية « عراة بين الذئاب » ، وهي من تأليف برونو آبيتز ، وما ان مضت شهور قلائل حتى وصل عدد نسخها الى اكثر من ١٠٠٫٠٠٠ نسخة . فقد كانت هذه الرواية مثلا رائعا يعبر عن التضامن الاممي للمكافحين ضد الفاشية ، وعن تفكيرهم الانساني العميق، ضمن ظروف النضال ضد النازية في معسكر الاعتقال « بوخن فالد » .